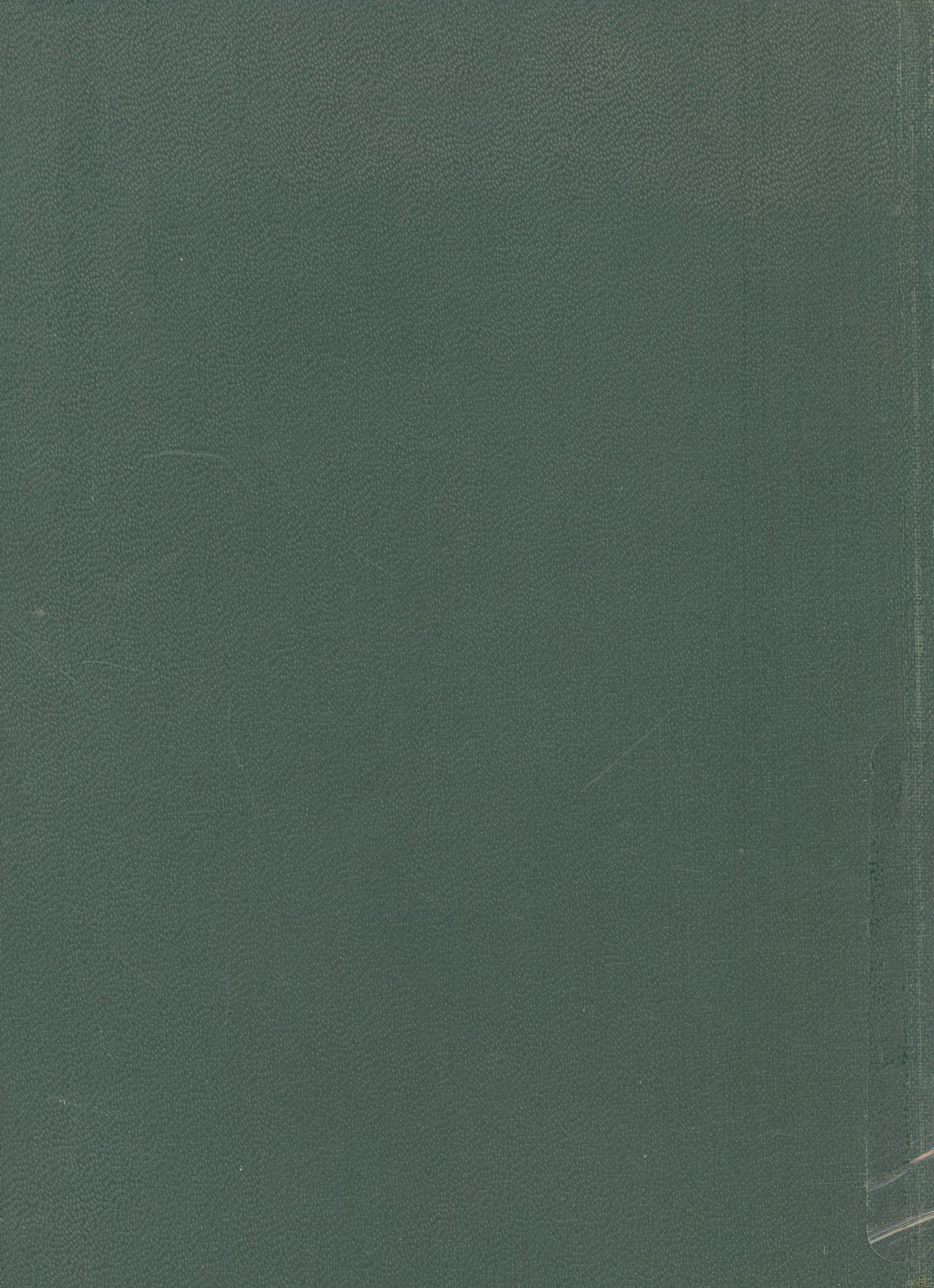
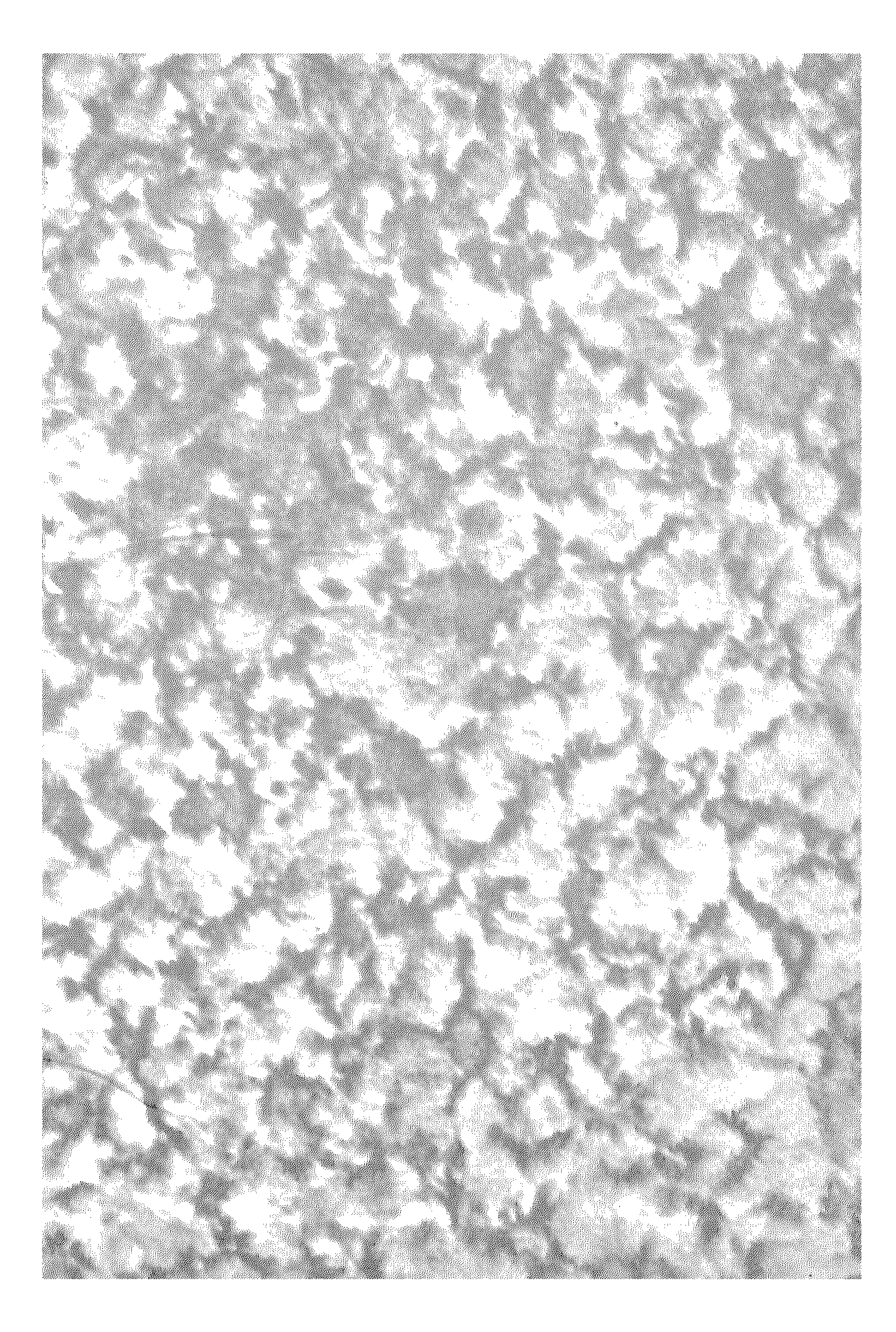






عادل الغضبان

أحمس الأول

مأساة ذات ثلاثة فصول

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

أحمس الأول

عادل الغضبان

أحمس الأوّل

مأساة ذات ثلاثة فصول

نالت جائزة وزارة التّربية والتعليم بمصر .



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

المجد والفنّ

صَفْحَةٌ مِنْ سِفْرِ مِصْرَ ٱلْعَجَبِ   قَامَ يَجْلُوهَا لِسَانٌ عَرَبِي

يَجِدُ ٱلْقَارِئُ فِي أَسْطُرِهَا   عِبَراً تَرْوِي حَدِيثَ ٱلْحِقَبِ

إِنَّ فِي مِصْرَ نُفُوساً حُرَّةً   تَطْلُبُ ٱلْعِزَّ وَلَوْ فِي ٱلشُّهُبِ

نَشَرَ ٱلتَّمْثِيلُ مِنْ عِزَّتِهَا   مَا ٱنْطَوَى فِي ظُلُمَاتِ ٱلْحُجُبِ

يَا لَفَنٍّ رَافِلٍ فِي عَصْرِنَا   بِثِيَابٍ زَاهِيَاتٍ قُشُبِ

فِيهِ تَهْذِيبٌ وَفِيهِ حِكْمَةٌ   وَمَثَارٌ لِلشَّجَى وَٱلطَّرَبِ

هُوَ لِلْجَاهِلِ دَرْسٌ صَادِقٌ   وَهْوَ لِلْعَالِمِ بَعْضُ ٱلْكُتُبِ

عِظَةٌ لِلنَّاسِ فِيهَا ٱرْتَسَمَتْ   صُوَرُ ٱلْجِدِّ بِلَوْحِ ٱللَّعِبِ

عادل الغضبان

بيان

قد يكون من المفيد أن أذكر لقرّاء هذه الرواية ما يلي من بيان وتفصيل .

كان القائد المصري أو الجندي في ذاك العهد يفتخر بقطع أيدي الأسرى .

كان المصريون يطلقون على الرعاة أسماء احتقار وازدراء ويطلقون على كتائب الجيش أسماء الآلهة من مثل كتيبة « فتاح » وكتيبة « رع » وما إلى ذلك .

كان حاكم النوبة الخاضع لمصر يسمى « ابن قوش » .

عرف المصريون في ذلك العهد الخيل وقيل إن الرعاة هم أول من جاءوا بها إلى مصر .

كان من عادة أبناء الملوك أن يصحبوا معهم في الحروب أسوداً .

كان أكبر رجل في البلاط الملكي يسمى « رئيس العيون » .

كانت الفضة في ذلك العصر تسمّى الذهب الأبيض وكانت النقود المتداولة حلقاناً من الذهب أو الفضة .

أما الناحية التاريخية فقد اجتهدتُ أن أمثّل التاريخ فى هذه الرواية تمثيلاً صادقاً بحيث تكون فصلاً صحيحاً من سِفر ذلك العصر فبعض أشخاص الرواية هم ممن عاشوا في ذلك العهد وجاء ذكرهم في التاريخ حتى إنّ وصف موت سكننرع ووصف دفاع الميت عن نفسه ووصف حياة « ابن أبانا » قائد كتيبة « أمون » كل هذا مستقى من عيون كتب التاريخ. على أنّني لم أتسامح إلا في أمرين :

١ — ذكر التاريخ أن بين قواد أحمس الأول قائداً يسمى أحمس بن أبانا فسميته ابن أبانا فقط دفعاً للالتباس الذي قد يقع فيه النظارة بين ذكر أحمس الملك وأحمس القائد .

٢ — لم يكن الرعاة معروفين في ذلك العصر بهذا الاسم غير أنني اضطررت إلى إطلاق هذه التسمية عليهم خشية أن يشكل على الجمهور معرفة أي عدو يحدث عنه .

و بعد فما هذه الرواية إلا إلماع إلى صفحة مجيدة من تاريخ مصر العظيم ولعـل التوفيق لم يجانبنى كثيراً فيما التمسته من نشر تلك الصفحة ناطقةً بما عُرف عن شعب مصر من شممٍ و إباء وثورةٍ على البغي وتقديسٍ للحرّية . . .

عادل الغضبان

أشخاص الرّواية

أحمس الأول — ملك مصر ابن الملك سكننرع وأخو الملك خاموس .

فرباس — الوزير .

حابي — رئيس العيون .

منزوفيس — صاحب الخزانة .

رئيس الكهنة —

تاسو — جاسوس مصري .

نزيتا — حبيبة أحمس وابنة حابي .

تاخوس — قائد كتيبة أمون .

ابن أبانا — « « « بعد تاخوس .

روزر — « « فتاح .

نختون — « « رع .

طاهو — رئيس حرس قصر الملك .

أپوفيس — ملك الرعاة .

ساتان — قائد فرقة في جيش الرعاة .

بيان — « « « « « .

رئيس حراس قلاع أڤاريس .

حجاب وجنود وراقصات .

تجري حوادث هذه الرواية على عهد الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد. فالفصل الأول يقع في طيبة عاصمة المصريين. والفصل الثاني على أسوار أڤاريس القاعدة الحربية للرعاة. والفصل الثالث في قصر ملك الرعاة داخل قلعة من قلاع أڤاريس .

الفصل الأوّل

تجري حوادث هذا الفصل في غرفة العرش من قصر ملك مصر في طيبة .

المشهد الأول

فرباس . حابي . منزوفيس . رئيس الكهنة .

منزوفيس : . . . أمّا أنا فنَفْسي تُحَدِّثني بشرٍّ مستطير .

فرباس : فيمَ هذا التّشاؤم يا مَنْزُوفِيس . وعَلامَ تفتَحُ صدرك لأَفاعي اليأس تَنْهَشُه صِلْعاً صِلْعاً . أَيُسْقَط في يدك وأنت الرّجلُ الجَلْد الصَّبور . فلئن انقطعت عنّا أخبارُ مليكنا خاموس إنّك لتعرِفُ مدى شجاعته وبسالته وتعلمُ عِلْم اليقين قوّة جيشنا وشدّة بأسه وطول مِراسِه للحروب .

منزوفيس : لا نُنكرُ عليك يا فرباس وأنت الوزيرُ الأوّل في

البلاد أنك تُفْرِغُ في سياستها منتهى الحزمِ والحكمةِ والسَّداد . غير أَنَّ ذلك الجيشَ الذي تتحدَّثُ عنه إنما هو خيالٌ لتذكارِ حبيبٍ . فقد خارتْ قواه وتمزّقت أوصاله منذ أن أَنْشَبَ الغاصبُ المجتاح أظفارَه المسنونةَ السَّامّةَ في جسم البلاد وضَرَبَ على أبناء مصر الذّلّة والمَسْكَنة . فأَنّى تلتمس الشّجاعة فيمن يتنزّى في حَلَق الحديد وتعضّ ساعدَيْه نيوبُ الأصفاد والأغلال .

حابي : ما عهدناكَ خائرَ الهمّة واهنَ العزم يا منْزوفيس . . .

منزوفيس : لستُ بخائرِ الهمّة ولا واهنِ العزم . ولكنني رجلٌ لا تَغْشَى عينيه غاشيةُ الوطنيَّة فتحرمَهُ رؤيةَ الحقائق على وجهها الصحيح . وإنني كذلك رجلٌ لا أخادعُ نفسي ولا أنظرُ إلى الأشياء بعينِ الأمل الكاذب والوَهْم الْخُلَّب .

رئيس الكهنة : كلُّنا ذلك الرّجل . ومَعاذَ الآلهة أن نُغلّب الأوهامَ على الحقائق .

منزوفيس : إذن قولوا إنّي على حقٍّ فيما يساورني من رِيَب وشكوك .

فرباس : إذا نحنُ شَفَعْنا الرِّيَب والشّكوك باليأس والقنوط ادْلَهمَّ في نواظرنا كلُّ شيء حتَّى الصّباح المنير . ونفَرَتْ منّا طيورُ النَّصْرِ مصطخبةً جازعةً شاكية. نحن لا نجهلُ ما جرّ العدوُّ على بلادنا من نكبات ورزايا ليس أعظمها اغتصاب أَرَضينا والاستئثار بخيراتنا وتكبيلنا بنِيرِ العبودية . كلاّ . إنّ العدوّ لم يدّخِرْ وُسْعاً وجهداً منذ قرونٍ خمسةٍ إلى اليوم في تحطيم قوَى الشّعب ليجرّدَه من كلّ نزعةٍ إلى العزّة والْحرّية وليطبعَه على الذُّلّ والْخُنوع فلا تقوم له قائمة . عَمَدَ إلى الفساد فنشَرَه في البلاد ليَكْبَحَ

بالْفِسْق والْخَنا جِماحَ الإباء في النّفوس . وتحكّمَ في عباداتِنا وعاداتِنا في ملاهينا وأغانينا في مواسِمنا وأعيادنا لينأى بالشّعْب عن تذكُّرِ ماضيه المجيد فلا يعصى ولا يثور . . .

حابي : و نَثَرَ المالَ في شِراء بعض ضعاف النُّفوس فكانوا السُّمَّ في الدَّسَم . . . إنّني أمينُ القصر ورئيسُ العيون فيه فما خفيتْ عنّي خافيةٌ من ذلك الإثمِ المنكر . . .

فرباس : أجل . . . لقد بدأنا نحاربُ العدوّ في مَيْدان النّفْس والفكر قبل أن نرمي في وجهه بجيوشِنا الباسلة . أَفتَضْعُفُ يا منزوفيس وتستكين دون هَدَفِنا الأكبر وغايتِنا المُثْلَى .

منزوفيس : حاشا أن أكونَ ذلك الضّعيفَ المستكين . غير أنّي صاحبُ الْخزانة في الدّولة فالواجب يقتضيني أن

أقول لكم إن الخزانةَ فارغةٌ خاوية . . قضينا حتى اليوم خمس عشرة سنة ونحن في حَرْبٍ سِجال دون أن نفوزَ بطائل . ولعلَّ الآلهةَ ترى أنّ الوقت لمَّا يَحِنْ حتى نعيش أحرارًا . فأمَّا وهؤلاءِ الرُّعاةُ هم من المَنْعَة والقوّة بحيثُ تعلمون فأَحْرِ بنا أن نكفَّ عن الكفاح ونُبقيَ على تلك الأرواحِ العزيزة التي تزهَقُ هَدَرًا وعلى الأموال الضَّخْمة التي تُنفَقُ عَبَثًا . . .

فرباس : أترضَى أن تحيا في وطنكَ عبدًا ذليلًا تؤدّي الجِزْيةَ والخراج لقومٍ هم حُثالةُ الشُّعوب .

رئيس الكهنة : وشرُّ البليَّة أنَّ هؤلاءِ الرُّعاةَ لم يَكْفِهِمْ ما أفسدوه في عباداتنا فأرادوا أن نُقلِعَ عن عبادةِ الإله أَمون ونَعبُد إلههم سُوتِيخ فهَلْ بعدَ هذا من ذلٍّ واستعباد .

فرباس : ما هي إلا ذريعةٌ تَخِذُوها للقضاء على البقيَّة الباقيةِ من عِزَّتنا وكرامتنا .

رئيس الكهنة : أجل . وكلُّنا يذكرُ تلك الرّسالةَ التي بعث بها مليكُهم إلى الملك سِكِنِنرَع رحمةُ أُمون عليه .

حابي : كانتْ أوّلَ شَرارةٍ طارتْ من لَهَبِ الحرب .

رئيس الكهنة : كيف لا وقد أُمِرْنا أن نصطادَ ما في النِّيلِ من تماسيح حتى لا يُعَكِّرَ صَفيرُها على ملكهم صفاءَ رُقاده .

حابي : كأَنَّ صَفيرَ التَّماسيحِ في طيبة يصل إلى ممفيس .

فرباس : فهمَ الملك سكننرع يومئذٍ أن لا مَناصَ من الحرب فأرهفَ لها غِرارَ عَزْمِه وعبَّأ الكتائِب وجهَّز الجيوش وسار يكافحُ دونَ الِحمى حتى ذهب شهيدَ وطنه .

منزوفيس : لا فائدةَ من إحياءِ ذكرى ما سَلَف . فلنا السَّاعةُ

التي نحن فيهـــا ... حربٌ أَتَتْ على الزَّرْع والضَّرْع وليس لنا من احتدامِها بريقُ أملٍ في النَّصر . فهل أنتم مُصِرُّون على الذَّهابِ فيها حتَّى النّهاية .

فرباس : نعم . حتَّى النّهاية . فإِنَّ الذي يَخْنَعُ للذّلّ والهَوانْ غيرُ جديرٍ بالحياة . وعارٌ علينا إذا نحنُ نشَدْنا الحريَّة أن لا نَمْضِيَ في نَشْدِها حتى آخر رَمَق . فإِمَّا نصرٌ يُقيلُ الوطنَ من عِثاره وإِمَّا موتٌ على شَفَراتِ السُّيوف وأَسِنَّةِ الرّماح .

رئيس الكهنة : ما أقدمَ الملكُ سكنرع على النِّضال إلا بعد أن اسْتَشَرْنا الآلهةَ فوجدناها راضيةً مغتبطة فلا إِخالُنا إِلَّا منتصرين ولو بعد حين .

منزوفيس : رأيي هو ما علِمْتُم فاقضُوا بما تَرَوْن .

فرباس : أَقْلِعْ عن عِنادِكَ يا منزوفيس فكلٌّ انقسامٍ بيننا

يُعَرِّضنا للهلاك . ونحنُ لن ننالَ ما نصْبو إليه إلَّا بالاتِّحاد . فلا نَنْسَ أنْ مليكنا خاموس هو اليومَ هدفٌ لسِهام الأعداء . فهل تريدُ ونحن في منتصفِ الطريق إلى النَّصر أن يَدِبَّ التَّخاذلُ بيننا . ما أنشبَ هؤلاءِ الوحوشُ مخالبَهم في البلاد إلا بتطاحُنِ رؤساءِ الأقاليم .

حابي : لو وَقَفَ صديقُنا منزوفيس على ما وقفتُ عليه أنا نفسي من حَماسةِ الشَّعب لأَيقَنَ أننا نستطيعُ أنْ نُعِدَّ من ذلك الشّعب جيشاً يفتتح السَّماء . . . كنتُ مارًّا أمسِ ببعضِ القُرى والمزارع فرأيتُ الفلّاحين والزُّرَّاع من شيخٍ وصبيٍّ وفتاةٍ يتحدَّثون عن الحرب وكلُّهم شُعْلَةُ نارٍ متأجّجة .

فرباس : الرَّأيُ أنْ نرسلَ إلى ساحةِ الوغى من يأتينا بأخبار الملك .

الحاجب (يدخل ويقول :)

بالباب القائدُ تاخُوس يُصِرُّ على مقابلة سيّدي الوزير .

فرباس : أَدْخِلْهُ في الحال .

منزوفيس : سيأتينا بالخبرِ اليقين .

المشهد الثاني

فرباس . حابي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخوس .

تاخوس : (منهوك القوى) سلامُ الإلهِ أمون على رئيسِ الـكهنة وعليكم .

فرباس : ما وراءكَ يا تاخوس فقد أثَرْتَ فينا الهواجسَ والوساوس .

حابي : كيف تركتَ ساحةَ القتال .

تاخوس : على شرِّ ما يكون .

منزوفيس : هذا ما كان في حِسْباني .

رئيس الكهنة : ولـكنَّ الآلهةَ سمحتْ بهذه الحرب .

فرباس : (للقائد) تلوحُ على وجهك وَعْثاءُ السَّفر فاجْلِس وأَفْضِ بما عِنْدَكَ .

تاخرس : (يجلس) إِنَّنِي أحملُ إليكم نبأَ الفاجعةِ الأليمة التي انْتابَتْنا .

فرباس : هل دُحِرَ الجيش .

حابي : هل أُسِر .

تاخوس : لقد قُتِلَ الملك .

(الجميع بدهشة وحزن) قُتِلَ الملك . . .

تاخرس : مات ميتةً يحسدُهُ عليها الأبطال .

فرباس : أَحْبِبْ بها من ميتةٍ في ساحة الشَّرف .

حابي : يا للمصيبةِ الـكبرى . يا للفاجعةِ الأليمة . رحمة الآلهةِ عليه لقد كان شجاعاً .

رئيس الكهنة : أيها الإله أوزيريس ارحَم مليكَنا خاموس فقد وفّى قسْطَه للبلاد .

منزوفيس : وكيف وقعت النّازلةُ يا تاخوس .

تاخوس : كنّا في طريقِنا إلى ممفيس على رأسِ جيشنا العظيم فما زال الملكُ هاجمًا وكتيبتي تحيطُ به إلى أن توغّلنا كثيرًا في الْهُجوم . . . فنشبَتْ بيننا وبين كتيبةٍ من العدوّ معركةٌ هائلة أَعْمَلْنَا فيهم الطَّعْنَ والضَّرْبَ حتى غطّتْ رؤوسُهم المتدحرجةُ وسواعدُهم المبتورة ساحةَ القتال . وحتى داستْ أشلاءَهُمْ سنابكُ الخيل... فما هو إلّا أن فاجأَتْنا جماعةٌ من الرُّماة دَهَمَت الملكَ على حينِ غِرّة . فأُصيبَ بسهمٍ في صدره خَرَّ على إثْرِه صريعًا . . . فنهض والدَّمُ يتدفّقُ من صدره يحاولُ معاوَدة القتال . . . فلما رأيتُه خائرَ القوى حملتُه بعيدًا من الخطَر . وارتميتُ عليه أُضمِّدُ جِراحَه

بِقِطَعٍ من ثيابي . (يري بعض ثيابه الممزقة) ولكن وَاحَسْرَتاه لم يمهله الموت غير دقائقَ معدودات .

فرباس : لقد لَحِقَ بأبيهِ مستشهدًا فِدَى الوطن .

تاخوس : ذكَّرَتني بأبيهِ رحِمَتْه الآلهة . فكأنّي أراه يضرِبُ ويطعَنُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشّمال . . . تلقّاهُ وَغْدٌ بِطَعْنَةٍ نجلاءَ شَرَمَتْ له أنْفَه . . . فبضَرْبَةٍ على وجهه أطبقَتْ فَكَّيْهِ على لسانِه . . . فبأُخْرى على أُمِّ رأسه جدَّلَتْهُ مضرَّجًا بدمه . وَيحْي أنا الشّقيّ أَشْهَدُ موتَ مَلِكيَّ ولا أستطيعُ أن أَفتديَهُما بروحي .

فرباس : وهل دَخَلَ الجيشُ ممفيس بعد ذلك .

تاخوس : كلاّ وا أسفاه . فإنّه لمّا سَمِعَ بموت الملك يَئِسَ فتقهقر وعمّتْ فيه الفَوْضى فهُرِعْتُ أنا إليكم لتنظرُوا في الأمر بحكمتِكمْ فإن لم يتسلَّمْ قيادَةَ الجيشِ قائدٌ

حازمٌ يَلُمُّ أشتاتَهُ ويُقوّي عزيمَتَه ويَبُثُّ فيه روحَ الشَّجاعة أبادَنا الرُّماةُ عن آخرِنا .

فرباس : رجاؤُنا معقودٌ على الأمير أحمس فلعلّ النَّصرَ يواتينا على يديه .

حابي : (للقائد) أَلَمْ يُوصِكَ الملكُ بشيءٍ قُبَيْلَ مماتِه .

تاخوس : سألني وهو يجودُ بروحه هل انتصَرْنا . قلتُ نعم . قال أموتُ وتحيا بلادي .

(الجميع يظهرون علامات الجزع والحزن
ثم يقطع فرباس حبل الصمت ويقول)

فرباس : أَيُّها الرِّفاق . لقد عَدَتْ علينا العوَادي وأَصابَتْنا في الصَّميم . فما من خَطْبٍ أَجَلَّ وأَفدَحَ للجيشِ المقاتِل من أن يفقَدَ قائدَهُ الْمِغْوار وهو يخوضُ به غَمَراتِ القِتال ويقودُه إلى غاياتِ المجد والفَخار . ولكن مهما جَلَّ الْخطْبُ وفَدَح فعلينا أنْ لا نَذْهَلَ

وأن لا نتضعضع . فالمِحَنُ هي النَّارُ التي تُبْدِي مَعْدِنَ الرّجال . فلنَصْهَرْ بها أَنْفُسَنا . ولْنُرِ الأعداءَ أنَّ مَعْدِنَنا نفوسٌ أبيَّةٌ وهِمَمٌ عالية لاتَلِينُ لأصحابِها قَناة ولا ينالُ منها اليأسُ والخَوَر في عاصفِ الدَّهر وزِلْزاله . لقد ذَهَلْنا للنَّـكْبة القاصمة وترنَّحنا من هَوْلِ ضَرْبتها . فحقيقٌ بنا أن نَثُوبَ إلى الرُّشْد والصَّبر وأن نُهِيبَ بعزائمِنا القويَّة ونَسْتَلْهِمَها الرأي السَّديد . وإني لأطمعُ أن يُصارِحَني كلٌّ برأيه لنخرُجَ من هذا المأزِق الذي وَقعنا فيه بعد موت المليك . . . قلتُ منذ قليل إنَّ رجاءَنا معقودٌ على الأمير أحمس فماذا يقولُ سيّدي الكاهن الأعظم .

رئيس الكهنة : أرى رأيَك يا فرباس فالأمير أحمس هو مَناط الأمل ومَعْقِدُ الرَّجاء .

فرباس : وما قولُكَ أنت يا حابي .

حابي : إنه لَنِعْمَ الخَلَف . ولئن نحّاه الملك عن أَتُون الحرب إشفاقاً منه على شبابه النَّضير إن الآلهة قد أعدَّتْه لمثل هذه الساعة . وإني لأعلم أنَّه يتحرَّقُ شوقاً إلى النِّزال والجهاد .

فرباس : وأنت يا تاخوس .

تاخوس : لا أرى إلّاه قائداً يُعْقَدُ له لِواءُ الجيش .

فرباس : وأنت يا منزوفيس . أَترَى غيرَ هذا الرأي .

منزوفيس : كلاّ . فالرأيُ ما رأيتم جميعاً ولئن سمعتموني منذُ قليل أُندّدُ بالحرب وأُشْفِقُ من عَواقِبِها وأُفْصِحُ عمّا يخامِرُني من يأسٍ وقُنوط لقد دفعني إلى ذلك نُقصانُ المال في أيدينا . فالمالُ قبلَ شجاعةِ الشُّجْعان . وهو عُدَّةُ الحرب وسِلاحُها وعَوْنٌ ثمينٌ للبسالة والإقدام . أمَّا وقد ضاقَتْ بنا المسالك فمات الملك

ودُحِرَ الجيش وذهب المال بَدَدًا فَلْنَمْشِ وراءَ الأمير أحمس في نفوسٍ مخلصةٍ وَفيَّة وقلوبٍ لا تخشى العِدى ولا تَرْهَبُ الرَّدَى. فَلَلْمَوْتُ أَهْوَنُ على الْحُرّ من حياةٍ يجرَّعُها غُصُصَ ذُلٍّ وهَوان.

فرباس : مَرْحَى. مَرْحَى يا منزوفيس. بارك أمون فيك فإنك لَعَلَى ما عهدتُكَ عليه نُبْلاً ووَطنيَّة.

(ثم يوجه الخطاب إلى رفاقه ويقول :)

أيّها الرِّفاق الكرام. أَصيخُوا إليَّ بسَمْعِكم قليلًا. إن مصر أحوجُ ما تكونُ اليومَ إلى قائدٍ منها إلى ملك. لقد أجْمَعْنا على اختيار الأمير أحمس ملكاً وقائدًا في حين أنّ العرش يؤول إلى شقيقته الأميرة نِفِرتاري.

حابي : ما إخالُ الأميرةَ نِفِرْتارِي تستطيعُ أن تُنْقِذَنا من هذا البلاءِ المحيقِ بنا.

فرباس : هذا صحيح . ولكن لا َننسَ أنَّ للأميرة أعوانًا وأنصارًا تَغلِي في صدورهم مراجِلُ الجَشَعِ والطَّمَع . فعلينا أن َنتَّخِذَ لِلأَمْرِ عُدَّتَه فلا نتركُ لأَفْعَى الفتنةِ شقًّا تُطِلُّ برأسها منه ولا مَسْرَبًا تَنْفُثُ منه سُمَّها الزُّعاف .

منزوفيس : وماذا لو نَزَلت الأميرةُ إِلى الدّوْلة عن أموالِها الطَّائلة فاستَعنّا بها على نفقاتِ هــذه الحربِ الضَّروس كما فعَلَ مليكُنا خاموس والأميرُ أحمس .

فرباس : لــكأنَّك تَشْعُرُ بما يدورُ في خَلَدِي يا منزوفيس . فلا يكفي أن يستويَ الأميرُ أحمس على العرش بل يجب كذلك أن يتزوّجَ شقيقتَه الأميرة نِفرْتاري فنقطعَ بهذا الزّواجِ دابِرَ الفِتْنَةويكون‌لنا من‌أموالِ الأميرة وشجاعةِ أحمس ما يَكْفُلُ لنا بإِذْنِ الآلهة النَّصرَ والظَّفَر .

رئيس الكهنة : فإذا لم يرُقْ هـذا الزّواجُ في عين الأمير أحمس أو الأميرة نفرتاري . . .

فرباس : زيّنّاهُ لهما وحملناهما عليه . فمصلحةُ الوطن فوق نوازِع الأهواء .

رئيس الكهنة : وإذا رَفَضَ أن يعتليَ عرشَ أخته .

فرباس : بَصَّرْناهُ بوخيم العواقب ولـكن لا إخالُه .

حابي : إذن نحتفل غدًا بتتويجه . . .

فرباس : بل نُتَوّجُه السّاعة . . . وليكن الحَفْلُ في غد . فقد نُفَاجأُ بما لا ندري ولا نتوقّع . . . فعليـكَ أنت يا حابي إبلاغَ النّبأ إلى الأُمراءِ ورؤساء الأقاليم . . . وعليك أنت يا تاخوس أن تسافرَ الليلةَ إلى ممفيس وتنقُلَ الخبرَ إلى القُوّاد والجنود وتقولَ لهم إنّ الملك أحمس في طريقهِ إليهم ليقودَهم إلى الفوز والنّصر . . . أمّا أنا فسأسهرُ على الأمن والنّظام

والويل لمن تحدّثه نفسه بإثارة الفِتَن والقلاقل
فسوف يَصْلاها نارًا حامية .

رئيس الكهنة : نِعْمَ الرّأيُ رأيُك يا فرباس ونِعْمَ التّدبيرُ تدبيرُك .

فرباس : (ينادي الحاجب) يا غلام .

الحاجب : (يدخل) لبَّيْك سيّدي .

فرباس : إذا رَجَعَ الأميرُ أحمس فأخبِرْنا في الحال .

الحاجب : لقد رَجَعَ الآن يا سيّدي وربّما كان في بَهْو القصر .

فرباس : (للحاجب) حسن . (يخرج الحاجب ثم ينهض فرباس ويقول :)
أنا ذاهبٌ أدعوه إلينا . (يخرج فرباس)

المشهد الثالث

حابي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخوس .

رئيس الكهنة : آمالُنا معقودةٌ على الأميرِ أحمس وإن لم يَبْلغ
الخامسة والعشرين من عمره .

حابي : لقد جَمَعَت الآلهةُ في هـذا الأميرِ الشّاب من علوّ الهمّة والاعتدادِ بالنفس ما لو قُسِمَ على أهلِ الأرض لكفاهم . . . طالمـا رأيتُه في ساحاتِ التّمرين يَصْبِرُ على المـكارهِ حتّى أُعجبتُ به كلَّ الإعجاب .

منز وفيس : شاهدتُهُ أنا يوماً يُرَوّضُ أسدًا هائلًا فدُهشتُ لشجاعتِهِ وقوّته .

الحاجب : (يدخل) مولاي الأمير أحمس . (يدخل أحمس وفرباس فينهض الحضور وقوفاً)

المشهد الرابع

حابي . منز وفيس . رئيس الكهنة . تاخوس . أحمس . فرباس .

رئيس الكهنة : السّلامُ على الإله الملك أحمس الأول . باركت الآلهةُ ابنَ سِكِنِنْرَع وأخا خاموس .

أحمس : لم أتعوّد أن أدخلَ عليكم فتحيّوني بتحيّة الملوك .

رئيس الكهنة : جاء القائدُ تاخوس ينبئنا بخطبٍ جلَل .

فرباس : بخطبٍ ضَعْضَعَ صفوفَنا .

أحمس : بحقّ الآلهةِ إلّا تكلَّمْتم سريعاً .

تاخوس : مات الملك .

أحمس : مات أخي . . . (يبدو عليه الجزع والحزن)

تاخوس : مات أشرفَ مِيتة .

فرباس : مات الأسدُ مدافعاً عن العرين .

حابي : وخلَّف لك القيامَ بأعباءِ المُلْك .

أحمس : أنا . . . ولكنَّ المُلْك من حقّ شقيقتي الأميرة نفرتاري .

فرباس : إن المحنة الجاثمةَ فوق صدر البلاد لتتطلَّبُ من الأميرة أن تَنزِلَ لك يا مولاي عن حَقِّها في العرش وكلنا كفيلٌ بإقناعها . أفيتردَّدُ الأمير في النهوضِ بأعباءِ المُلك وتسلُّم زِمامِ الجيش والسَّيْر

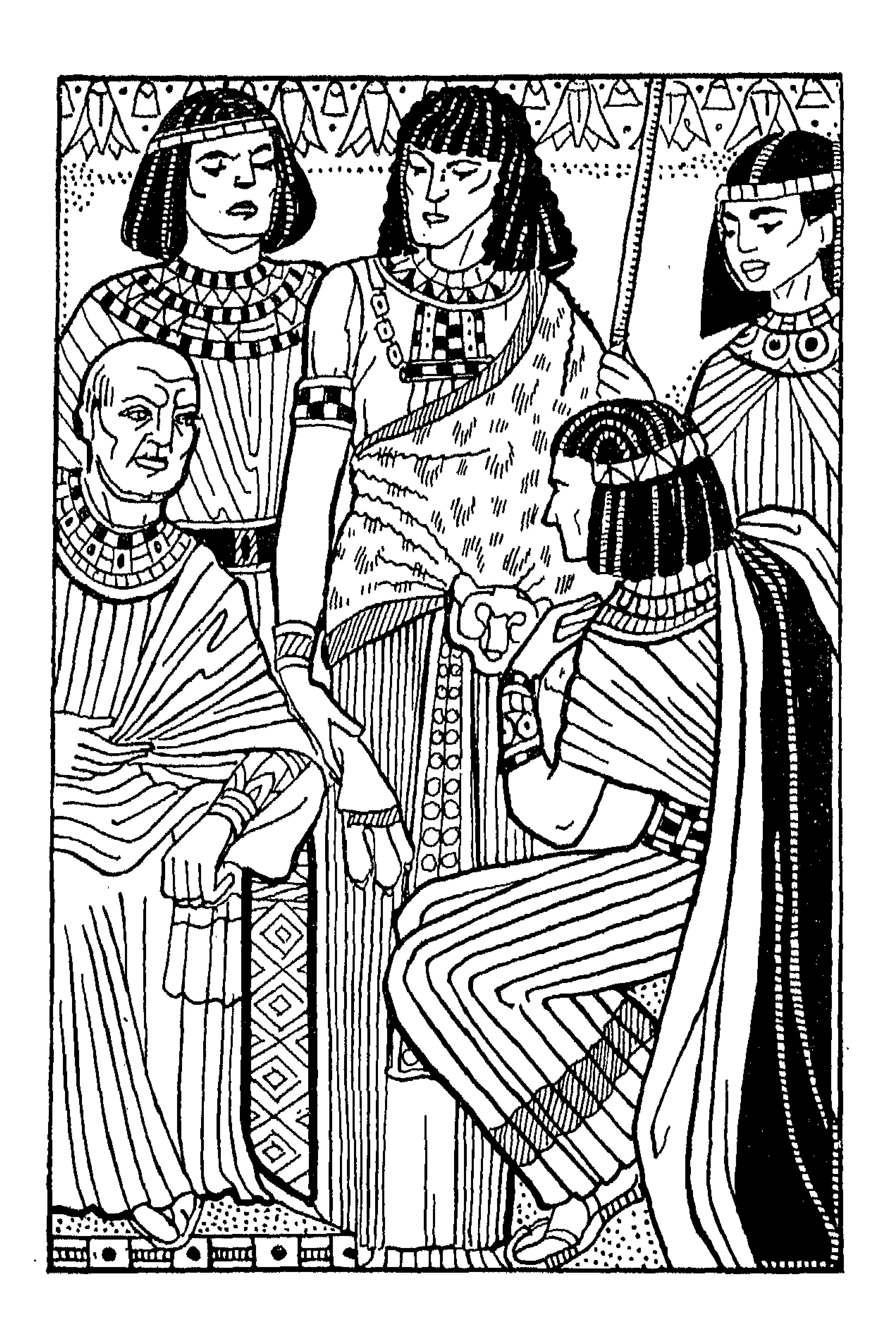
به إلى غاياتِ العزَّة والفَخار .

أحمس : لا . لا . فنفسي تتوقُ إلى القِتال وإلى سفح دمي في سبيل الوطن . ولقد كنت أنتظر بصبرٍ ذاهب إشارة من أخي أطيرُ بعدها إلى الكفاح معه جنباً إلى جنب .

أمّا وقد استُشْهِد في مَيْدان الشَّرف فسأُخْلِفُهُ قائدًا ومَلِكاً . وأُقسم وأَمون لَأُطَهِّرَنَّ الوطن من رِجْس الأعداء وأردَّنَّ كيدَ هؤلاء الرُّعاةِ الأرذال في نُحُورهم وأنتقمنَّ لأبي وأَخي شرَّ انتقام .

فرباس : نِعْمَت الحماسة حماستُك . حرستك الآلهة في حلِّك وتَرْحالك . وقادت خُطاكَ إلى الظَّفر فعزَّةُ الوطن منوطةٌ بشجاعتك .

رئيس الكهنة : هل بينكم أيُّها السَّادة من يأخذُ على الأمير أحمس مأخذًا يحولُ دون تتويجِهِ ملكاً على مصر .



جميع الحضور : لا . لا .

رئيس الكهنة : (موجهاً الخطاب إلى أحمس) هل تُقْسِمُ بآلهـةِ مصرَ وأرضِها المقدَّسة وبفيضانِ النيل والمعابدِ المباركة والأهرامِ الخالدة .

أحمس : نعم أُقْسِم .

رئيس الكهنة : هل تُقْسِمُ أن تحكمَ مصرَ بالعدلِ والقِسْطاس مُقدّساً قوانينَها الموروثة محافظاً على عبادةِ آلهتها هادماً غيرَ أصنامِها واقفاً حياتكَ على تحريرِ بلادك والدفاعِ عنها دونَ كلِّ غاصبٍ مجتاح .

أحمس : نعم أُقْسِم .

رئيس الكهنة : إذنْ أتوّجكَ أنا الكاهن الأعظم لهيا كلِ رَعْ وأمون وفتاح ملكاً على مصر . وأبارك روحَك وجسدَك يا أملَ مصرَ ورجاءها .

فرباس : عاش مليكنا أحمس .

أحمس : شكرًا للآلهة .

الحاجب : (يدخل فيخاطب الوزير)

بالبابِ تاسو يستأذنُ في الدخول .

فرباس : (متلهفاً) ليدخلْ على الفَوْر (يخرج الحاجب) .

المشهد الخامس

حابي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخوس . أحمس . فرباس . تاسو .

تاسو : (يدخل ويجيل أنظاره في الحاضرين) سلامُ الإله أمون .
(ثم متردداً)

فرباس : تكلَّمْ ولا تخشَ بأساً فأنت بحضرة مليكنا
أحمس الأول .

تاسو (يخاطب الملك متلعثما) حيَّتك الآلهة (متردداً) .

أحمس : أفْضِ بما تريدُ أيُّها الرَّجل .

تاسو : (متردداً) إنَّ ما عندي . (يسر فرباس إلى أحمس أن تاسو
جاسوسه الخاص)

أحمس : (يخاطب الحاضرين) اتركوني وفرباس وهذا الرَّجل .

(يهمون بالخروج)

فرباس : ليُسرِعْ كلٌّ منكم في أَداءِ واجبه على نحو ما قرَّرنا .

(يخرجون)

المشهد السادس

أحمس . فرباس . تاسو .

أحمس : (موجهاً الخطاب إلى تاسو) تكلَّمْ . ما وراءك من الأخبار.

تاسو : أخشى إنْ أنا فُهْتُ بما عندي أنْ أثيرَ غضبَ مولاي .

أحمس : أنتَ في أمان .

تاسو : ابنُ قوش حاكمُ النُّوبة وَصَلَ إلى طيبة .

أحمس : جاء ولا شكَّ يؤدّي الجزْيَة .

تاسو : لا . لقد جاء يسعى لأمرٍ خَفِيّ .

أحمس : وما هو .

تاسو : هو السَّعْي في أن يتزوَّج الأميرةَ نفرتاري شقيقة مولاي .

أحمس : (محتداً) تَبًّا له من زنيم . أيجسُرُ أن يتطلَّعَ إلى شقيقتي نفرتاري وهي ابنة ملك وأخت ملك .

تاسو : ثم عرفتُ بعدما بذلتُ خمسينَ حلقاً من الذَّهب وخمسين حلقاً من الذَّهب الأبيض .

فرباس : (مقاطعاً) ستأخذها من مال الدولة .

تاسو : أنه يأتمر وبعض أعوانه في شقِّ عصا الطاعة والمناداةِ به ملكاً على النّوبة .

أحمس : (تأخذه سورة غضب) ألم يكفِهِ أن يتطلَّع إلى بناتِ الملوك اللاَّئي هنَّ في مصاف الآلهة حتى يتجرَّأ على العصيان ويمنّي نفسه بالملك . فوحقِّ أمون لأذيقنَّه كأسَ العذاب .

فرباس : (للجاسوس) أأنت على يقينٍ مما تقول .

تاسو : كيف لا وقد اعترفَ لي خادمه بالمهمّة التي جاء سيّده من أجلها . ما أسعَد الخدمَ . عندهم أسرارُ الدّول وأسرارُ البيوت .

فرباس : بورك في همّتك . انصرف وكن رهن إشارتي .

(يخرج تاسو)

المشهد السابع

أحمس . فرباس .

فرباس : يخيَّلُ إليَّ أنَّ ابن قوش طامعٌ في عرش النّوبة فإذا رضيتْ به الأميرةُ بَعْلًا لها وامتزج دمُه بالدَّم الإلهي قويتْ شوكتُهُ وعلا سلطانُه وربما طَمَحَ إلى عرش مصر . واعْلَمْ يا مولاي أن والد هذا الحاكم هو من قوّاد أبيك الذين أبلَوْا بلاءً حسناً في

الحروب فلعلَّ انتصاراتِ أبيه قد حملته على الطَّمع في الملك .

أحمس : ولكنّني أَرْبأُ بأختي أن تُنيلَ هذا الخائنَ مأرَبَهُ . فسليلةُ الملوكِ لا تكونُ جُنَّةً لامرئٍ خائن يَتّقي بها الأخطارَ فيما يطمَحُ إليه .

فرباس : إنّي أُنَزّهُ شقيقَتَك الأميرة نفرتاري أن تجيبَ نداءَ هذا الغادرِ العاصي .

أحمس : جُلُّ ما أخشاهُ أن يكونَ بينه وبين أُختي أَواصرُ حُبٍّ وغَرام فهناك الطّامّةُ الكبرى .

فرباس : ماذا تَعْنِي يا مولاي .

أحمس : أَعْنِي أن للحبِّ سلطاناً قاهرًا قد يُهيبُ بالمرءِ إلى كل خطرٍ وتهلُكة ... آهِ ما أعظمَ سلطانَهُ وأقوى سحرَهُ في النّفوس .

فرباس : أرى من حَماستِك هذه للحبّ يا مولاي أن بين

جنبيْك قلباً يَخْفِق .

أحمس : قد يكون ذلك .

فرباس : لا بِدْعَ فأنتَ في رَيْعانِ الصِّبا ورونقِ الشّباب . وهذا العهدُ هو عهدُ الحبّ . ولكن لا تنسَ الأمرَ العظيمَ الذي أَعدَّتْك الآلهةُ له . فأنتَ اليومَ ملكٌ تحيط بك الأعداء من كلِّ جانب فالسَّبيلُ أمامكَ وَعْرٌ كثيرُ المهالك .

أحمس : معاذَ الآلهةِ أن يَشْغَلَني الحبُّ عن الوطن .

فرباس : أعرفُ ذلك أنا الذي تتبَّعْتُ أطوارَ حياتِك فعرفتُ فيكَ الفتى المِقْدام .

أحمس : سأشدُّ الرّحالَ غدًا إلى محاربةِ هؤلاء الرُّعاة فأقتلُ منهم خَلْقاً كثيرًا وأُنْقِذُ البلادَ من وَيْلاتِهم وشرورهم .

فرباس : لو ثارتِ النُّوبة وأعلنتِ العِصْيان فماذا أنت فاعلٌ يا مولاي .

أحمس : أُؤَدِّبُها شَرَّ تأديب .

فرباس : أَعْجِبْ بشجاعتِك وحماستِك ولكن أين تكونُ أنتَ منها يا مولاي .

أحمس : أَبْتَدِئُ حروبي بتأديبِ العُصَاة .

فرباس : ما إلى ذلك من سبيل . فالجيشُ على أبوابِ ممفيس في انتظار قائدٍ يقودُهُ للظَّفَر . ثم إن الجهادَ يا مولاي غيرُ مقصورٍ على محاربةِ الأعداء في ميادينِ القتال ولا على قَمْعِ فتنةِ النُّوبة ولا على إِحْباطِ الدّسائسِ والمكايد التي قد يدبّرها أنصار الأميرة نفرتاري بعد إذ يعلمونَ أنَّك استأثرتَ بالعرشِ دونَها . . .

أحمس : وماذا فوق ذلك .

فرباس : إن هناك يا مولاي نَفَرًا من الحكَّام ورجالِ القصر ممَّن اشتراهمُ العدوُّ بالمال وفَسَحَ لهم في المطامعِ والآمال ينفثُون سمومَهم في البلاد . ويذيعون فيها

أنباءَ الهزائمِ التي مُنِيَ بها جيشُنا الباسل . ويُثَبِّطون عزيمة الشَّعْب . ويحمّلون أخاكم رحمة الآلهةِ عليه تبِعَةَ هذه الحرب وما جرَّته على مصر من خرابٍ ودَمار . . .

أحمس : ياللخَونة المارقين. ولكن لماذا سكتَّ عنهم وتركتَهم يعيثون في البلاد فسادًا .

فرباس : كانَ الملكُ الراحلُ رحمته الآلهة قد أمرني أن أتغاضى عنهم بعضَ حين مخافةَ أن تندلعَ نيرانُ الثورة وهو بعيدٌ عن طيبة . فإذا أمر مولاي قبضنا على زعمائِهم وحاكمناهم وأنزلْنا بهم صارمَ العقاب ليكونوا عِبْرَة العِبَر لمن تحدّثُهُ نفسه بخيانةِ الوطن .

أحمس : وهل لديك الدليلُ على خيانتهم .

فرباس : أجل يا مولاي فلن نأخذَ أحدًا إلا بالثَّابت من جُرْمِه .

أحمس : افعلْ إذن ما فيه مصلحةُ الوطن . (يهم أحمس بالخروج)

فرباس : مولاي عفْوَكَ ففي هذا بعضُ الدواء لما تعانيه البلاد من سَكَرات المِحَن . فلا تزالُ العُقْدةُ الكبرى تنتظرُ الحَلَّ الموفَّق حتى تتمكَّنَ يا مولاي من النُّهوض بمهمَّتك الشاقَّة وجهادِك المقدَّس وأنتَ آمِنٌ من غدرِ العُصاة والآفكين .

أحمس : وبماذا تشيرُ يا فرباس .

فرباس : صوابُ الرَّأي يا مولاي أن تتزوَّجَ شقيقتَك الأميرةَ نفرتاري قبل ذَهابِك إلى ساحةِ القتال . فتأمَنَ جانبَ النُّوبة وتتفرَّغَ لطرْدِ الرُّعاةِ الأوباش .

أحمس : إنَّ حُزْني على أخي يحولُ دونَ كلِّ فَرَح .

فرباس : مُكْرَهٌ أنتَ يا مولاي . فللأميرةِ أعوانٌ يهمُّنا ضمُّهم إلينا كما يهمُّنا أن نخيّبَ أملَ حاكمِ النُّوبة ونفسدَ عليه تدبيرَه وخطَّتَه .

أحمس : (متحيراً) لا رغبةَ لي في أن أتزوَّج أختي .

فرباس : لا مَفرَّ لك من ذلك إن كنتَ تحبُّ وَطنك .

أحمس : إنّي أُجِلُّ أختي وأحبُّها ولكن قلَّماَ خفقَ لها فؤادي .

فرباس : سوف يخفقُ عندما تفكرُ أن الوطنَ يدعوكَ لهذا الزَّواج .

أحمس : هيهات . . .

فرباس : مولاي . . .

أحمس : (بعد تفكير طويل) هذا مُحَال . هذا مُحَال .

فرباس : أهناكَ يا مولاي سِرٌّ تخفِيه عنّي . أَلستُ موضعَ ثقَتِك .

أحمس : أجَلْ يا فرباس إنَّك لموضِعُ ثقتي وإنَّ لهناكَ عهدًا قطعتُهُ على نفسي لفتاةٍ تملَّكَ حبُّها جوانحي وسَرَى في عروقي مَسْرَى الماء في عروقِ النَّبات .

فرباس : ومَنْ هي يا مولاي .

أحمس : هي إلهةٌ في صورة فتاة .

فرباس : ابنةُ أيّ ملكٍ أو أمير هي .

أحمس : لها من حبي عرشٌ تخيّمُ فوقه السّعادةُ والهناءة .

فرباس : لم تَزِدْني عاماً بها يا مولاي .

أحمس : هي ابنة حابي رئيسِ العيون .

فرباس : ابنة رئيس العيون .

أحمس : هي نَرِيتا ابنةُ حابي .

فرباس : والَهْفَ نفسي عليكِ يا مصر . لكأَنَّ الآلهَةَ اتَّحدتْ على مناوأتِكِ فهي تحاربُك بكلّ سِلاح .

أحمس : ما هذا الذي تقوله يا فرباس .

فرباس : عفوَكَ يا مولاي . فإِنَّ هذا الغرام الذي تملّكَ قلبك سوف يُودِي بك وبالبلادِ إلى التّهلُكة .

أحمس : أتحسبُ أنّ قلبي الذي ملكَتْهُ فاتنتي ليس فيه محلٌّ لحبّ بلادي .

فرباس : حاشا أن أُفكّر في ذلك يامولاي وحاشا أن أنتقص قدْرَ ابنةِ حابي وجميلَ خلالها . غير أنَّ خِبْرَتي الطويلةَ تدلُّني على أنَّك إن تزوَّجت غير الأميرة نفرتاري جرَّ عليك زواجُك كلَّ شُؤم .

أحمس : وكيف يا فرباس .

فرباس : الجيشُ قد بلغَ به الوهَن والخْوَر حدًّا يُخْشَى معه أن يبيدَ أو يُؤْسَرَ كلّه إن لم تتداركْه . وخزانةُ الدَّولةِ خاليةٌ خاويةٌ تملؤها أموالُ أختِك . والبلاد منهوكةُ القُوَى محطَّمةُ العزيمة . وحاكمُ النّوبة يهمُّ بشقِّ عصا الطّاعة . والرُّعاةُ يزحفونَ متقدّمين إلى ممفيس . والأمراء يتحزّبون للأميرة نفرتاري عليك تحدوهم المطامعُ والأهواء . والخَوَنَةَ يحرّكهم نُضار العدوّ فيكيلون للبلاد الضرّ والأذى . والشّعبُ كالطفلِ إن لم تسرعْ في تحقيقِ أمله أدركَهُ المَلَل وجَرَى خبباً

إلى التمرّد والعِصْيان . . . كلُّ هـذا يتطلبُ منك يا مولاي أن تكونَ الملكَ الشجاعَ الحازمَ الذي لا يُشْرِكُ في حبّ الوطن أيَّ حبٍّ آخر .

أحمس : (يفكر قليلا ثم يفيض بما يجيش في صدره)

أيّتُها الآلهة لقد سحقتِ فؤادي هـذا الفؤادَ الذي ما تفتّحتْ أكمامُهُ تستقبِلُ شمس الحبِّ والغرام حتى ذَوَى قبلَ الأصيل . . . تعذَّب يا قلب واخْفقْ ما استطعتَ أنْ تخفق إِنّ التي أحببْتَها قد ضُربتْ بينك وبينها السُّجوفُ فلن تراها ولن تراك . . . وَداعاً أيَّتها الآمال والأحلام يا آمالَ السّعادة ويا أحلامَ الغرام لقد شُيّدَ بنيانُكِ على الرَّملِ فتداعى عند أوّلِ عاصفةٍ من عواصفِ الحياة . . . أي أمون . أيُّها الإله العادل . لقد صعقتَ قلبي وكَتبتَ لي العَذاب فويحٌ لي من شقيّ مسكين .

فرباس : إنَّ أختكَ يا مولاي لن تألُوَ جهدًا في أن توفّرَ لك السّعدَ وهناءةَ البال .

أحمس : أنا لا أُبْغِضُ أختي بل أحبُّها ولكنّني كلما فكّرتُ في أنّها سوف تصبحُ زوجتي انقبضَ قلبي وضاق صدري وشعرتُ بقوّةٍ خفيَّةٍ تدفعني عنها . . . إنّي عندما أقبّلها لا تهتزُّ جَوانحي ولا تنتفِض ولكن عندما ألمسُ يدَ محبوبتي يرتعشُ جسمي كأنَّ الإله رع أشعلَ فيهِ نارًا ملتهبة . (يسكت قليلا)
غدًا يُهنّئونني بالمُلك . . . غدًا يُرَتّلُ الكهنةُ ألحانَهم ويُسْمِعُني الشّعبُ هُتافَه في تهنئتي بصولجانٍ آلَ إليّ ومُلكٍ لبستُ تاجَه فأضطرّ أن ابتسمَ وقلبي يبكي وأن أتكلفَ الفرحَ وأنا حزين . . .

فرباس : ما لي أراك يا مولاي تُعْلِي حبيبتَك فوق الوطن . أتحسبُ جمالَها أبهى من جمالِه . أوَتخالُ قُبْلَتَها

أعذبَ من ماءِ النيل فلئن كانتْ من الجمالِ بحيثُ تراها ليكونَنَّ نهاية الشَّرفِ لها أن يُضَحَّى بها في سبيلِ الوطن .

أحمس : (مهموماً) إِن أجبتُ داعيَ الحبّ متُّ غمًّا على الوطن . وإِن لَبَّيْتُ نداءَ الوطن متُّ يأساً على الهوى . فإِنّي مائتٌ على الحالين فأيَّ ميتةٍ أختار .

فرباس ميتةَ رجلٍ يحبُّ بلاده .

أحمس : (منتفضاً) دونكِ أَيَّتها الآلهةُ قلبي فانْتَزِعيه من بين جَنْبَيَّ وقدّميه قرباناً للوطن إِن كان في مثلِ هـذه التَّضحيةِ خلاصُهُ من نِيرِ الاستعباد . كن يا فرباس الرّسولَ إِلى شقيقتي وأَبْلِغْها أَنّي اخترْتها زوجةً لي ولتساعدْني الآلهة على تحمّلِ هذا الزَّواجِ الذي أُكرهتُ عليه لأجل الوطن .

فرباس : كُلَّما عظمت التّضحية كان الثَّوابُ عليها أعظم . فلئن

ضحَّيْتَ بغرامِكَ وهو أَنْفَسُ ما يُضَحِّي به الشَّباب لقد كتبتَ في سِفْرِ الوطنيّة صفحةً من نور فالآلهة تباركك .

الحاجب : (يدخل فيخاطب أحمس)

مولاي سيّدتي نزيتا في القصر .

أحمس : أنا ذاهبٌ إليها .

فرباس : ألا ترى يا مولاي أَن تدعوَها إلى هنا .

أحمس : (للحاجب) قل لها إنّي في انتظارها .

(يخرج الحاجب فيقول أحمس للوزير)

اُترُكْني معها يا فرباس لأُنْبِئَها بالفاجعة .

فرباس : إذا شاء مولاي بقيتُ معه مخافةَ أَنْ يضعفَ إزاءَ سحر عينيها .

أحمس : لا تخَفْ وَثِقْ بشجاعتي .

فرباس : سأُبشّرُ شقيقتك الأميرة نفرتاري بالنَّبأ السَّعيد ثم

أُصْدِرُ أَمْرَكَ بالقبضِ على حاكم النوبة والزُّعماءِ المارقين والخَوَنة وبزجّهم في غياهب السّجون رهن المحاكمة .

أحمس : افعل .

فرباس : ثم أُعِدُّ أنا ورفقائي العُدّة لحفلِ التَّتويج الذي سيقام غداً في معبد أمون فهل لمولاي من رغبةٍ يشير بها .

أحمس : لا .

فرباس : إذن أستودعك الآلهة يامولاي . (يخرج فرباس)

المشهد الثامن

أحمس . نزيتا .

نزيتا : (تدخل مبتهجة) حبيبي أحمس كيف أنت .

أحمس : بخير يا نزيتا .

نزيتا : لِمَ تدعوني باسمي وقد تعوّدتَ أن تنادِيني حبيبتَك.

ولكن ما لي أراكَ متجهِّمَ الوجهِ عَبُوساً . ماذا حدث.

أحمس : لا شيء . . .

نزيتا : أنت لا تصدقني الخبرَ يا أحمس . فجبينُكَ مقطَّب وعيناكَ زائغتان . . .

أحمس : إنَّها الحربُ يا نَزِيتا . . . وصَلَتْ إلينا أنباءٌ سيِّئةٌ من جبهةِ القتال .

نزيتا : لم يخطِئْ ظنِّي أن وراءَ السَّحاب بَرْقاً ورَعْداً . لقد قضيتُ وَقتاً طويلاً وأنَا أرقبُ مجيئَك .

(ثم متحببة إليه باسمة) وكنتُ في هذه الأثناءِ مطمحَ أنظارِ طاهو رئيسِ الحرس . فلم يفتأ يلاحقني في ردهاتِ القصر وأنَا أُراوغُهُ نافرةً متهرِّبةً حتى قدمتَ أنت فتنفَّسْتُ الصُّعَداء . ولكن سرْعانَ ما رأيتُ الوزيرَ قد خرجَ وصحِبَكَ إلى المجلس . فلبثتُ أنتظرُكَ بفارغ الصَّبر إلى أن ارْفَضَّ المجتمع

وانصرفَ الواحدُ تِلْوَ الآخر فارتقَبْتُ خروجك ولكن طالت خلوتك مع الوزير فرباس فَعِيلَ صَبْري وأرسلتُ أُعْلِمُك بوجودي في القصر لأنقذَكَ من هـذا الوزيرِ الذي أُضمِرُ له الكُرْهَ من غير ما سبب .

أحمس : أنتِ على ضلالٍ يا نزيتا . ما عَرَفَ النَّاسُ وزيرًا أشدَّ إخلاصاً للبلادِ من هذا الرَّجل .

نزيتا : قد يكونُ ذلك غيرَ أنَّ قلبي يحملني على بُغْضهِ . ونفسي تُحَدِّثني بشرٍّ كبيرٍ من خَلْوَتِهِ معك . . . مالنا وله حَسْبِي أنَّك إلى جانبي .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : ما لكَ لا تُجيبُ .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : قلتُ لكَ إنّي أكرهُ هذا الرّجل .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : إن وراءَ هذا السُّكوتِ بليَّةً تنتظرني .

أحمس : نزيتا . آه نزيتا . ماذا أقول . لقد وقعت الكارثةُ
ومات أخي .

نزيتا : مات الملك . . . رحمتْهُ الآلهة وأسكنَهُ أوزيريس
فسيحَ جنَّاته .

أحمس : وسأخلفه على العرش .

نزيتا : نِعْمَ السَّلَفُ والْخَلَف .

أحمس : (مضطرباً) نزيتا . هي آخرُ مرَّةٍ نخلو فيها معاً .

نزيتا : (تأخذها سورة الغضب) آخر مرَّةٍ أراكَ فيهـــا .
هذا ما كنتُ أتوقَّعُهُ من خَلْوَتكَ مع فرباس .
فلْتَلْعَنِ الآلهة مَنْ زيَّنَ لك هَجْري وليخترقْ قلبَهُ
سَهْمٌ ينزعُ منه الحياة . كيف أثَّرَ فيك كلامُهُ . ماذا
قال لك . كيف أقنعَك . كيف تجاسَرَ أن يُغريَكَ

بهجراني . كيف استمعتَ له ولم تنقضَّ عليه فتخنقَه.
(تهدأ قليلا) آه ما أشقاني .

أحمس : نزيتا . الوطنُ يدعونا إلى أن نضحّيَ بحبّنا .

نزيتا : وهل دعوتُكَ يوماً إلى خيانة الوطن . هل حسبتَ الوطنَ عشيقةً أغارُ منهـا . لو أنَّه كان كذلك لتضرّعتُ إليها وانطرحتُ على قدمَيْها باكيةً متوسّلة ورجوتها أن تتخلَّى عنكَ لي فلا أتركُها حتى يلينَ فؤادُها . لا كان الوطنُ إن سلَبَني حبيبي وصِنْوَ روحي . (تسكت قليلا ثم تخاطبه بلهجة رقيقة) :
أنسيتَ يا أحمس الأيامَ الجميلةَ التي قضيناها معاً نتساقى فيها كؤوسَ الهوى المُتْرَعة وكلانا نشوانُ بخمر الحبّ والهُيام .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : أنسيتَ حبَّنا الطاهر . أنسيتَ العهدَ الذي قطعتَه

على نفسِك بأن تكونَ لي وحدي . لئن نسيته إنَّ
خميلةَ الوردِ التي لفظتَ قَسَمَك تحتها شاهدةٌ عليك .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : أنسيتَ أنّي أُقدّسُ حبَّك . وأنّي لا يهنأ لي العيشُ
إلاّ بقربك . هل تريدُ أن أموتَ كمدًا وغمًّا . ألا
تشفق على صِباي . ألا ترحمُ شبابي من أن يُوارَى
في التُّراب .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : مالك لا تُجيب . أكنتَ إذن عابثًا بوعودِك . عابثًا
بأَيْمانِكَ المغلظة . عابثًا بقلبي الذي أوقعتَهُ في شَرَكِ
إثمك وغدرك .

أحمس : اِتَّئِدي في غُلَوائِك يا نزيتا . وحقّ حبّكِ ما أنا
بالغادرِ الخَؤُون ولا أنا بالطَّامع في مُلْكٍ ولا سُلْطان.
فما كنتُ لأَكْسِرَ فؤادَكِ وأُدْمِعَ عينيك لولا

ما يقضي به هذا الوطنُ الذي يرجو أن ينالَ الحرّيَّة
على يدي . . . أنا مَنْ أنا . . . المحبّ الذي عرفتِهِ
ولكن قُضِيَ علينا أن نَشْقَى فصَبْرًا على حكمِ
الآلهة . فهي التي أرادت أن نَطْوِيَ من فؤادينا
حُبًّا امْتَزَجَ بدَمِنا وأنفاسنا .

نزيتا : متى كانت الآلهةُ تفرّقُ بين المحبّين .

أحمس : غدًا أنا ذاهبٌ إلى مَيْدان القتال أدافعُ عن وطنٍ
اغتصبَهُ هؤلاءِ الرُّعاة وأتسلّمُ قيادةَ جيشٍ خُذِلَ
لموت أخي ودبَّ فيه اليأس . فهل تريدين أن أعيرَ
الوطن أذنًا صَمَّاء والأخطارُ محدقةٌ به من كل
حَدَبٍ وصَوْب . إن أبي قد مات ورمحُهُ مُشْرَعَةٌ في
يده . وهذا أخي قد قُتل وسيفُهُ حيٌّ إلى جانبه
مخضَّبٌ بدم الأعداء . فهل يُرضيكِ أن ينقشَ
التاريخُ على قبري كان أحمس الأول جبانًا فَرَّ من

حَلَبات الـكِفاحِ والـنِّزال إلى رَحَبات الهوى والصَّبابة .

نزيتا : أتبعُك إلى ساحةِ الهيجاء وأكونُ ألزمَ لك من ظِلّك . . . أداويكَ إن جُرِحْت . وأردُّ عنك بفؤادي سهم الرَّدَى . وأساعدُك على النَّصر ولو كان في أنيابِ السِّباعِ ومخالبِ النّسور . . .

أحمس : كيف تتبعينني وغدًا بعد حَفْل التَّتْويج وقَبْلَ أن أعلوَ مركبتي في طريقي إلى ممفيس يحتَفِلُ رئيسُ الكهنة بزفافِ شقيقتي الأميرة نفرتاري إليَّ .

نزيتا : وضَحَ الأمر إذن وأفصحتَ فيه عن طويَّةِ نفسِكَ الآثمةِ الغادرة .

أحمس : نزيتا وحقّ . . .

نزيتا : (مقاطعة) أغرامٌ جديدٌ دفعَكَ إلى شقيقتك أم ذاك رأيُ فرباس اللعين . . .

أحمس : لا تعذليهِ يا نزيتا إِنَّه يعمَلُ لمصلحة البلاد .

نزيتا : أمن مصلحةِ البلاد أن تغدُرَ بي وتتزوَّج أُختك .

أحمس : سأتزوَّج أختي خَشْيَةَ أن يُطْمِعَها ابن قوش في عرشِ النّوبة وإِلا كنتُ بين نارينِ نارِ الفتنةِ ونار الحرب . فهل يُرْضيكِ إن أنا ذهبتُ لتأديب العُصاة أن يهجمَ الرُّعاةُ علينا فيعيثوا في البلاد فسادًا ويَسْبُوا نساءَنا ويذبحوا أطفالَنا ويهدموا معابدَنا ويسومونا الخسفَ والاضطهاد . . . لأجل ذلك فضَّلتُ أختي عليكِ ليبقى أمامي عدوٌّ واحدٌ أحاربه . فحسبكِ فخرًا أنه يُضَحَّى بكِ للوطن .

نزيتا : (حزينة) يا ليتني ما عرفتُكَ قطُّ يا أحمس . يا ليتَ قلبي ما خفقَ ساعة رآكَ . أيُّ ذنبٍ جنيتُهُ حتى أَعيشَ طولَ عمري معذَّبةً . أيُّ شَرْعٍ هذا الذي يسمحُ للرَّجلِ أن يتزوَّجَ أخته ويتركَ حبيبته .

نعم إِنَّها أحقُّ مِنّي . إِنَّها من سُلالةِ الملوك .
إنها أختُكَ من لحمِكَ ودمِكَ ولكنني
أفضلُها لأني أحبُّك . (تبكي) سلامٌ عليكِ
يا أحلام السَّعادةِ والهناءة فما كنتِ في قفرِ حياتي
لا سَرابًا .. (تبكي)

أحمس : لا تبكي يا نزيتا . كفكفي دموعَك وارْحَمِي هذا
القلبَ المعذَّبَ الذي تكويه عبراتُك . نزيتا .
أَخشى أن يؤثّر فيَّ بكاؤكِ فأُحجمَ عمَّا أَقدمتُ
عليه وبئسَ المصير .

نزيتا : لو كنت تحبّني لما فضَّلتَ عليَّ أحدًا . (تبكي)

أحمس : فضَّلتُ عليك وطني .

نزيتا : (غاضبة) قَدْكَ مُغالاةً فقد كرَّهتَ إليَّ الوطن .
لا كان الوطن . ولا كنتَ أَنت . ولا كانت
ختُك (تخرج غضبى)

أحمس : نزيتا . نزيتا . نزيتا .

الشعب : عاش أحمس الأول .

أحمس : إلى أيّ صوتٍ أُصْغِي وإلى أَيِّ عهدٍ أَميل .

الشعب : عاش قائدنا العظيم .

أحمس : لا . لا . سأكون لك وحدك أيها الشَّعب العزيز
فمحالٌ أن تموتَ أُمَّةٌ لتحيا أَمَة . . .

ستـار

الفصل الثاني

تجري حوادث هذا الفصل على مقربة من أسوار أڤاريس القاعدة الحربية للرعاة وعلى مرمى النظر منها مضارب خيام لجيش أحمس وفي خيمة من خيام القواد جلس ابن أبانا ونختون يتحدثان فتطرق مسامعهما أغان وأناشيد ينشدها الجنود .

المشهد الأول

ابن أبانا . نختون .

نختون : ما أَسْعَدَ هؤلاءِ الجنود . يُنْشِدون ويطرَبُون كما لو كانوا في حَلَقاتِ الأعراس والأفراح .

ابن أبانا : لعلَّه فألٌ حَسَنٌ يا نختون . وما أَحْراكَ وأنت قائدُ كتيبة « رع » أن يسرّكَ هذا الرّوحُ العالي يخفُقُ في حنايا الجنود . . .

نختون : حقَّقَت الآلهةُ قولَك . ولكن لو كان لنا أن نستدلَّ

على الفألِ الَحْسَنِ من قَسَماتِ الوجوه لما استَدْللْنا من قَسَماتِ مليكنا أحمس إلا على اليأسِ والقُنوط . فقد غاضَ إشراقُ وجهه وبدتْ فيـه سِماتُ الحزنِ والـكآبة . فأضحى قاسِيَ القلب جبَّارًا عنيدًا . وفارقهُ ذلك الرّوح الذي كان يفيضُ رقَّةً وعُذوبة .

ابن أبانا : لا تَضْرِب يا نختون في بوَادِي الأوهام ولا تَحْمِلَنَّك الظُّنونُ إلى البعيد القَصِيّ من الَحْدْس والتَّخْمين . . .

نختون : (مقاطعا) ما أنا مَنْ يتملَّقُ بأَهْدابِ الأوهام والظُّنون يا ابْنَ أبانا . ولا أنا مَنْ يركَبُ المُحالَ والتَّأْويل . فإنما أنا امْرُؤٌ يستقرِئُ الحاضِرَ ويبني عليه حُـكْمَهُ الصَّحيح . فإن كان لنـا أن نحـكُمَ على حاضِرنَا مُسْتَدِلّين في ذلك بقَسَمات المليك القاسية الصَّارِمة فلن يكونَ الُحكمُ ممـا تقَرُّ له العيون وتبتهجُ

الأفئدة .

ابن أبانا : وعلامَ نُمَكّن اليأس من أن يُنشِبَ مخالبه في صدورنا .

نختتون : لعلّك لا تعرفني حقّ المعرفة يا صاحبي . فلقد هبطتَ علينا منذ يومٍ أو بعضِ يوم فما أسعفك الزّمَن في أن تقِفَ على خُلُقي وخِلالي . . . سَلِ الزُّملاء والرُّفقاءِ يخبروكَ أنّي الرَّجلُ الذي يتفاءلُ حتى في أحْلَكِ ساعاتِ اليأس والقُنوط . غير أنَّ تفاؤلي هذا لا يمنعُني من أن أكونَ صائِبَ الرَّأي ثاقِبَ النَّظر صادقَ البصيرة .

ابن أبانا : ولكنَّك تعتمدُ في حكمك على الفرْضِ والخيال .

نختتون : كلاَّ يا صاح . لقد رأيتُ واسْتَنْتَجْتُ ولا إخالُني مخطئاً في رؤيتي واستنتاجي . أئذا رأيتَ وجهَ السّماء مُتَجهّماً . والغمائمَ السُّودَ متراكمة . والرّياح

هائجةً عاتية قَدَّرْتَ ولا شكّ أنَّ العاصفة آتيةٌ لا محالة . . .

ابن أبانا : كثيرًا ما تَخْدَعُنا ظواهرُ الأشياءِ يا نختون . فكم رأينا الماءَ يترَقرَقُ على وجه الصَّحْراء حتى إذا وصلنا إليه لم نجدْ ماءً ولا رائحةَ ماء . . . وكم رأينا البَرْقَ يلمعُ فوق نواظرِنا فتوقَّعْنا أن يُدَوّي الرَّعْد بعده وأن تفتحَ السَّماءُ أبوابَها وتسكب على الأرض سُيُولها فذهب ما توقَّعْنا هباءً منثورًا في إثْرِ ذلك البرق الْخُلَّب .

نختون : إن كنتَ يا صديقي مُصِيباً في قولك فما أنا مخطئٌ في رأيي . . .

ابن أبانا : لعلَّك مُصِيبٌ في رؤيتك مُخْطِئٌ في حُكمك . . . فقد يكونُ مليكُنا عبوسَ الوجه قاسيَ القَسَمات ولكن قد يكُونُ وراءَ كلّ هذا أَلْفُ عزيمةٍ

خَرَجَتْ تَقْنص النَّصْرَ من أشْداقِ السِّباع .

نختون : يا لك من مُحَدِّثٍ ساحِرٍ . . .

(تسمع من الخارج أصوات جدال ومناقشة)

ابن أبانا : ما هذا .

نختون : هو لا شكّ صاحبُنا رَوْزَر .

المشهد الثاني

ابن أبانا . نختون . روزر .

روزر : (يدخل وهو ثمل ووراءه حاجبه وبائع الخمر فيقول لبائع الخمر)

قلتُ لك يا أَبْلَه إنّ ذا كرتي لا تخونُني . . . إنّني
أعرفُ حقَّ المعرفة أنّها الزّجاجة السادسة والتّسعون
بعد المئة . . . لست أذكر . فاطمئنّ اطمئنّ فحقّك
محفوظٌ لدى أشْرَفِ مَنْ حمَلَتْهُ الأرضُ من شُرّابِ
الخمر . . . (ثم يلتفت إلى حاجبه قائلا) قُدْهُ يا غلام إلى

خارجَ المعسكر وأوصِلْهُ إلى حانوته سالماً مُعافى . . .
مع السّلامة . . . (ثم يقهقه ضاحكاً)

نختون : ها أنتَ ذا قد عُدْتَ ظافرًا منتصرًا .

روزر : أَوَجَالَ بخاطرِكم غيرُ هذا . . . تبًّا له من لعين . . .

ابن أبانا : وعلى من تصبُّ لَعْنَتك .

روزر : على هذا الأحمق صاحبِ الحانة . . . يقول إنه
لا يمانعُ في إعطائِي العَدَدَ الذي أُريدُه من زجاجاتِ
الخمر ولـكنه يُشْفِقُ على صحَّتي الغالية . (يضحك)

نختون : إنَّه لَعَلَى صَواب فلو متَّ . . .

روزر : أأنا أموت . . . أنا . . . لا أظنّ . . . فمنذُ
سنواتٍ وأنا أخوضُ غِمارَ المعاركِ وما زلتُ حيًّا
أُرْزَق . كأنَّ الآلهةَ تحرسُني حتى أُفْرِغَ في جوفي
ما في حانةِ هذا الرّجل من نبيذ . . .

ابن أبانا : إن الخمرَ يا صديقي تباعدُ بينك وبين النَّصر .

روزر : أُقسمُ لك إنَّ كأسًا من الخمرِ أَحبُّ إليَّ من ألفِ نصر .

نختون : أَتقولُ هذا لأنَّه مرَّت علينا سنواتٌ ونحنُ بعيدون من طيبة .

ابن أبانا : أمَّا أنا فإنّي قادمٌ منها .

روزر : بحقِّ الآلهة لا تُذَكِّرْني بطيبة فالذِّكرى تعصفُ بفؤادي .

ابن أبانا : وما السَّبب يا روزر .

روزر : السَّبَبُ الْحُبُّ والْحُبُّ السَّبَب .

ابن أبانا : أنتم أيُّها العُزَّاب ما أكثرَ ما تُلْهِيكم حوادثُ العشق والغرام .

روزر : كيفما كان الأمر فنحنُ أسْعَدُ حالًا منكم أيُّها المتزوّجون فحيثما نُعَسْكِر نجد حبيبةً جميلةً تنسينا همومَ الحياة . فلئن عَدِمْنا حبيبةً في بَلَد . وهذا

ما لا يحدثُ أَبدًا لمثلي إِنَّنا لا نَعْدَم أخرى في بلدٍ آخر .

ابن أبانا : يا لكَ من ثَرْثار .

نختون : أَمَّا أَنا فمقيمٌ على العهد لا أَستبدلُ بحبيبتي أَحدًا .

ابن أبانا : هكذا يكون الوفاء . إني لأذكر الآن زوجتي وأَولادي ويخيَّلُ إِليَّ أَنّي أسمعُ نغماتِهم .

نختون : إذا قُدِّرَ لنا النَّصر رَجَعْنا إِلى بلادنا ولِقِيَ كلٌّ منَّا أَحبابَهُ .

ابن أبانا : سألقى أَنا زوجتي . وأَنت يا نختون حبيبتك . وأَنت يا روزر أَتلقى حبيبتَك القديمة أَم حبيبةً جديدة . (ضحك)

روزر : اِسْمَعا . اِسْمَعا . عرفت في طيبة . . . لا تؤاخذاني . . (ينادي) يا غلام (يدخل حاجبه) زجاجة أخرى من النبيذ المعتَّق (يخرج الحاجب وهو يقول) سَمْعًا وطاعة سيِّدي .

ابن أبانا : حتّامَ هذا السُّكْر .

روزر : حتّى أَموتَ . وإنّي لأرجو أَن يكون قبري فى حانوتِ خَمَّار أَو تحت داليةٍ من العنب . . . (يضحك)

نختون : يا لك من سِكّيرٍ عِرْبيد .

روزر : كنتُ أَقولُ إِني عرفتُ في طيبة فتاةً لو رأَتها إلهةُ الجمال لتوارتْ خجلاً . . . كانت هذه الفتاةُ في الرَّبيعِ الثلاثين من عمرها بل في الربيعِ الأربعين بل في الخمسين . . مالي أراكما لا تُصْغِيان إلى حديثي .

نختون : أَعْفِنا منه بحقِّ الآلهة فقد سمعتُ أَنا منك هذه القصَّة مئةَ مرَّةٍ ومرَّة .

روزر : عجباً . منّي أَنا .

نختون : نعم منك أَنت وهذا صديقُنا ابن أبانا سمعها منك عشرَ مرّاتٍ على الأقلّ ولمَّا يَمْضِ على مجيئه إلينا

أربع وعشرون ساعة . أَفَتُرِيدُ أن أُتِمَّها لك .

روزر : نعم .

نختتون : ثم لمَّا رأتكَ لأوَّلِ وَهْلَة خرَّتْ صريعةَ هواكَ وأسيرةَ جمالك . فلمَّا علمتْ أنّك رحلتَ عن طيبة قتلتْ نفسَها وذهبتْ ضحيّةَ حسنك وغرامِك .

روزر : هذا ما حَدَثَ بالحرفِ الواحد . أرأيتما كيف كانت مغامراتي أحاديثَ القوّاد بل أحاديثَ الشَّعْب بأَسْره .

ابن أبانا : لا تنْسَ أنَّا لم نصدِّقْ من قِصَّتِك كلمةً واحدة .

روزر : ولمـاذا .

نختتون : هذا رأيُنا في جميع ما تقول .

روزر : ولـكنّني أستحلِفُـكما بالآلهة إلّا سمعتما مني قصَّةً جديدةً وقعتْ لي في بلادِ النُّوبة وليس فيها رائحةُ الـكَذِب . . . لا مؤاخذة . . . (ينادي) ياغلام .

يا غلام . (يدخل الحاجب ويقول) نعم سيّدي .

روزر : أين النّبيذ أيُّها الخبيث .

الحاجب : رَفَضَ صاحبُ الحانةِ أن يُعْطِيَني زجاجةً أخرى .

روزر : أوَتجَرّأَ على ذلك .

الحاجب : قال إنَّه لن يُلبِّيَ لك أيَّ مَطْلَبٍ جديد إلا إذا دفعت له يا سيّدي ما عليك من دَيْنٍ قديم . وقال إنَّه كان معك يا سيّدي كريماً سخيًّا مع أنَّ مبدأه في البيع هو : الدَّيْنُ ممنوع والعَتَب مرفوع والرّزق على الآلهةِ الكريمة . (يضحك ابن أبانا ونختون)

روزر : ويلٌ له . لو كان عملاؤه من الشُّرَفاءِ أمثالي . . .

نختون : لكانَ أقفلَ حانوتَه منذ مدة طويلة .

روزر : أنا ذاهبٌ أريه كيف يكونُ الدَّفعُ فورًا .

ابن أبانا : حسَنًا تفعل .

روزر : (إلى حاجبه) سِرْ أمامي . (يخرجان)

المشهد الثالث

ابن أبانا . نختون .

نختون : لم تخبرني وأنت قادمٌ من طيبة عمّا أسفرت عنه ثورةُ النُّوبة فقد أنهى إلينا مليكنا أحمس أمس أنه أدَّبَ العُصاةَ شرَّ تأديب فكم وددتُ لو كنتُ في عِداد مَن استصحبهُمْ لقَمْعِ تلك الفِتْنة .

ابن أبانا : قمعها في غير ما نَصَبٍ ولا مَشَقَّة .

نختون : وماذا جرى لحاكم النُّوبة . وصل إلينا أنه كان مسجونًا .

ابن أبانا : مات في سجنه .

نختون : هل ثار النوبيُّون لحاكمهم .

ابن أبانا : أجلْ ثاروا فاضْطُرَّ مليكنا كما تعلم إلى تركِ هذه القلاعِ والعودةِ لتأديبِ العُصاة . . . واعلم أنه لولا

طاهو ما حرّكوا ساكناً .

نختون : طاهو . رئيس حرس القصر .

ابن أبانا : هو بعينه . فقد ثبت أنّه صنيعةٌ من صنائع الأعداء فقبلَ أن يلقى جزاء خيانته تمكّن من الفرار إلى بلاد النّوبة فأثار الحفائظ وأوقد نار الفتنة . فأخمدها مليكنا أحمس وأنقذ البلاد من شرّها .

نختون : وهل لقي طاهو النّذلُ حتْفه .

ابن أبانا : كلاّ . ساعدته الأرواحُ الشرّيرةُ فهرب إلى أعدائنا الرّعاة وانضمّ إلى صفوفهم . والأدهى من ذلك أن فرّتْ معه عشيقته .

نختون : ومَن تكونُ عشيقته .

ابن أبانا : نزيتا .

نختون : نزيتا . ابنة حابي رئيس العيون . أابنة ذلك الشيخ الجليل كانت تحبّ طاهو .

ابن أبانا : أجلْ . وكانا يتحابَّان منذ زمنٍ طويل .

نختون : وكيف صبَرَ حابي على هذه الكارثة .

ابن أبانا : إنَّه ماتَ غمًّا .

نختون : وارحمتاه له . مَن كان يظنُّ أن ستنتهي به الحالُ إلى هذهِ المأساةِ الأليمة .

ابن أبانا : كان حابي أثيرَ المنزلةِ من نفسِ مليكنا فلما سمِعَ الملكُ بفرارِ ابنتِه وطاهو معاً انتفضَ انتفاضاً واستولتْ عليه سَوْرةٌ من الغضب كاد يَسْحَقُ معها كلّ من يقتربُ منه .

(يدخل روزر وكأن نسيم الأصيل قد أطار من رأسه السكر فيسمع طرفاً من الحديث دون أن يشعر به زميلاه)

المشهد الرابع

ابن أبانا . نختون . روزر .

نختون : (يلتفت فيرى روزر) ها أنتَ ذا قد عدتَ صفْرَ اليدين .

روزر : آثرتُ أن أناقشَ صاحبَ الحانةِ الحسابَ في صباحِ غد . . .

نختون : نعمْ ما فعلت . . . تعالَ استمِعْ لصديقِنا ابن أبانا واعلم منه كيف قمَعَ الملكُ الثَّوْرةَ في النُّوبة .

روزر : وماذا يفيدُني ذلك . حسبي أن أعرفَ أنَّنا بعد سفر الملك بقينا محاصرينَ هذه القِلاعَ فلا العدوُّ نزل منها ولا نحنُ استطعنا أن نقتحمَها . ولا تجهلْ أنَّا دُحِرْنا ثلاثَ مرّاتٍ عن هذه المعاقل فلو استأنفْنا الهجومَ للمرّةِ الرابعة وغُلبنا على أمرِنا لم تقمْ لنا قائمةٌ من بعد .

نختون : ألا تعدُّ وصولَنا إلى أسوارِ أثاريس نَصْرًا لنا مبينًا .

ابن أبانا : أتيأسُ من النَّصْرِ وأنتَ قائدُ كتيبةِ « فتاح » .

روزر : تذكّرُني حماستُك بمن سلفَ من قوّادِ كتيبةِ أمون فكلُّهم كانوا من الحماسةِ على أعظمِ جانب . فصديقي تاخوس ذهب يخبرُ بموتِ الملكِ خاموس فمات من التّعبِ والإعياء . وصديقي سيتي الذي خلفهُ في مَنْصِبه قُتل في أوَّلِ معركة خاضَ غُبارَها .

ابن أبانا : رحمتهما الآلهة .

روزر : أمّا أنتَ فسعيدُ الطّالع .

ابن أبانا : كأنّي بكَ تستكثرُ عليَّ هذا المنْصِبَ وتجهلُ أَنَّ الرّئاسةَ فخرُ أُسْرَتِنا كابرًا عن كابر .

نختون : كنتُ عرفتُ أباكَ رئيس نواتي السّفينةِ أَبيس .

ابن أبانا : أَفَتُدْهَشُ إن أنا أصبحتُ رئيسَ كتيبة « أمون » بعد أن كنتُ رئيسَ ملّاحين مثله .

روزر : لا نُنْكِرُ عليك الدّرايةَ والكِفاية ولكن لا تُنكرْ أنَّ للجَدِّ عاملًا كبيرًا في حياةِ الإنسان. أَلسنا شُجْعانًا مثلك فلِمَ لمْ نظفرْ من الملك بما ظفرتَ به من الشّرفِ والرّفعة.

ابن أبانا : حاربتُ معه جَنْبًا إلى جَنْب فقَدَرَ شجاعتي قَدْرَها وزيَّنَ صدري بالذّهبِ عِدَّةَ مرّاتٍ على رؤوسِ الأشْهاد.

نختون : وكيف توصّلتَ أن تكونَ من بِطانته.

ابن أبانا : قُلّدتُ بعد أبي رئاسةَ نواتي السفينة أبيس. فلمّا انْتَهى إلى مسامعِ الملك خبرُ شجاعتي جعلني في حاشيتِهِ فصحِبْتُهُ في حروبه وأسرتُ أنا وَحدي أسرى كثيرين وأخذتُ أيدي من قَتَلْتَهُمْ. ولقد اتّفقَ لي مرّةً أمرٌ عجيب.

نختون : وما هو.

ابن أبانا : في معركةِ «تا كمت» هَجَمَ وغدٌ من الرُّعاةِ على الملكِ وضربَهُ بخِنْجَرِهِ فأخطأهُ فهجمتُ عليه فرمى بنفسه في النّهرِ فارتميتُ وراءَهُ وأدركتُهُ وقبضتُ على عُنُقِهِ وخرجتُ به حياً وقطعتُ يديه فقلّدني الملكُ بعد ذلك شارةً ذهبيّةً وأقطعني الأَرَضِينَ الواسعة ومنحني عددًا من العبيد .

نختون : إذا انتهت الحربُ عُدْتَ إلى أَهْلِك وعِشْتَ في خَفْض وسَعَة .

ابن أبانا : لا إخالُنا نعودُ سريعاً فليكنا أحمس لا بدَّ أن يتعقّبَ هؤلاءِ الرُّعاةَ حتى أقاصي صَحاريهم ويبيدَهم عن آخرهم .

روزر : أمّا أنا فأرى محاولةَ افتتاحِ هذهِ القلاعِ ضَرْباً من العَبَث .

ابن أبانا : قَوِّ عزيمتك . هل بلغ بك اليأسُ هذا المبلغ .

روزر : دَعْكَ من عزيمتي ويأسي وقل لي أنَّى لنا افتتاحُ هذهِ القلاعِ المحصَّنَةِ بأبوابٍ لا تعملُ فيها الحجارةُ والسّهام . وهذا الماءُ الذي يحيطُ بها كيف السبيلُ إلى اجتيازه إلّا إذا غَرِقْنا فيه .

نختون : قيل إن داخلَ هذه القلاعِ خمسةً وعشرين ألف جنديّ شاكي السلاح .

ابن أبانا : هي حامية المدينة لأن هؤلاءِ الأجلافَ بعد أن جاؤوا إلى بلادِنا متشرّدين وتمكّنوا منها حصّنوا أقاريس لسببين : لردّ غارتِنا إذا أَغَرْنا وصدِّ شعوبِ الشّرق لو هاجمتهم .

نختون : إن نفسي متعطّشةٌ إلى ذبحِ هؤلاءِ الرُّعاة ذبحَ النَّعَم والشُّربِ من دمائهم بأقحافِ رؤوسهم .

روزر : أفضّلُ أنا شرْبَ جَرَّةٍ من الخمْر (ضحك)

ابن أبانا : وَيْحَكَ يا روزر أَتُحِبُّ الخمْرَ هذا الحُبَّ العظيم حتى

لَتُؤْثِرُها على دماء الأعداء .

نختون : دَعْكَ منه إنه يَهْذِي . . .

روزر : (غاضباً) أأنا أَهْذِي . أَمَنْ ينظرُ إلى الواقع مجرّدًا من زخارفِ الآمال والأحلام تتّهمونه بالهَذَيان. قال صديقُنا نختون إنّ نفسه متعطّشةٌ إلى ذَبْحِ الأعداء والشُّرْب من دمائهم . وقلت أنا إني أوثرُ شُرْبَ جرّةٍ من الخمر . فأيّهما يَهْذِي . ناشَدتكَ الآلهة يا ابْنَ أبانا قل لي أأنا أهذي أم هو .

ابن أبانا : قَصَدَ صديقُنا نختون إلى أن . . .

روزر : (مقاطعاً) لم يقصدْ إلى شيء . . . إنه عدوّ الخمر اللّدُود . . . ولكن دَعْنا من هذا . . . ألا ترى أنَّ مَطْلَبِي أيْسَرُ تحقيقاً من مطلبه ... دم الأعداء ... ومَنْ لك بدمِ الأعداء . . . جرّةٌ من الخمر . . . وما أسهلَ الحصولَ على جرّةٍ من الخمر . . . (ينادي)

يا غلام . . .

نختون وابن أبانا : (معاً) صدّقناك . صدّقناك . لا حاجة إلى الدّليل .

(ثم يقولان للغلام الذي حضر) انصرف . انصرف .

روزر : (للغلام) انصرف أيها الأبله . ألا تسمع السّيّدين العظيمين يأمرانك بالانصراف (يتوارى الغلام ويستسلم القواد الثلاثة إلى ضحك طويل ثم يدخل الملك والوزير يحيط بهما بعض الحراس)

المشهد الخامس

ابن أبانا . نختون . روزر . أحمس . فرباس .

(يهب القواد وقوفاً وينادون بصوت واحد)

مولانا الملك .

أحمس : حيّتكمُ الآلهة . ما وراءكم . هل فتحت هذه الخَلْوة عليكم بشيء .

ابن أبانا : الجيشُ يا مولاي يُزَمْجِرُ كالأسود تتنزَّى في الحديد فهو قد اشتاقَ إلى القتال وملَّ هذا الرُّكود.

روزر : يسوءني أن أعلم مولاي أن بعضَ الكتائبِ متذمّرةٌ شاكية فقد أثَّرَ فيها اندحارُنا ثلاثَ مرّاتٍ تأثيرًا بليغًا .

أحمس : ما تعوّدتَ أن تقفَ أمامي يا روزو موقف المتذمّرِ الشّاكي . هل فُتَّ في عَضدِك . ألستَ من أبطالِ ممفيس أم قد لعبت برأسِك هذه الملعونة .

روزر : مولاي قد أقلعتُ عنها .

أحمس : أصدقني يا نختون . ألا يزال صديقك مُدْمِنَ خمرٍ وشراب .

نختون : أجل يا مولاي .

أحمس : (يضحك)

فرباس : ولكنه مع ذلك جنديٌّ شجاع .

ابن أبانا : نعم يا مولاي . إنه وصديقي نختون لِمَثالُ الْجُنْديّ الشجاع فقد كنتُ أُخْبِرهما يا مولاي كيف أدّبتَ العُصاةَ في النّوبة شرَّ تأديب فكادا يطيرانِ حميّةً وحماسة .

نختون : ولقد أخْبَرَنا أيضاً أنك تَنْوِي يا مولاي أن تتعقَّبَ هؤلاء الرُّعاةَ المناكيد حتى أبعدِ صحاريهم .

روزر : ثم أخْبَرَنا كذلك يا مولاي بأشياءَ نالتْ من قلوبنا كُلَّ مَنال .

فرباس : بماذا أَخْبَرَكما أيُّها البطلان . . .

نختون : بموت حابي رئيس العيون .

فرباس : رَحَماتُ الآلهة عليه .

روزر : وبفرار ابنته مع طاهو الخائن .

أحمس : (يمتقع وجهه) دَعْكُمْ من أنباء الموتى والخَوَنة . فالجنديُّ في ساحةِ الهَيْجاء لا يشغلُ بالَهُ إلا بأنباء الطَّعْنِ والضَّرْب وسَبَحات الكَرّ والفَرّ شَحْذاً

لِهمَّته وبُعْدًا بفؤاده عن مَواطِن الضَّعْف والْخَوَر .
ألا ترى رأيي يا ابن أبانا .

ابن أبانا : مولايَ نحنُ والجيشُ فداؤك . فمُرْ بكلمةٍ ترَنا تسابَقْنا إلى وُرُودِ حِياضِ الموت فَرِحِين مسرورين .

روزر : ما عبّرتُ منذ قليل إلا عن حال بعض الجنود أمَّا أنا فأوّلُ مَنْ يُضَحّي برأسه فدى الوطن والملك .

نختون : مولاي . كلُّنا ذلك الجنديُّ الذي لا يرهبُ العِدَى ولا يبالي الأخطار .

أحمس : باركت الآلهةُ فيكم أيُّها الشُّجْعان . عودوا إلى كتائبكم وبثُّوا روحَ الحماسةِ في الجنود واستعدُّوا للهجوم . علّموا الجندَ كيف تكونُ التَّضْحية قولوا لهم حيثما يكن الملك يكن الشرفُ الأكبر . سِيروا على بركة الآلهة . (يخرجون)

المشهد السادس

أحمس . فرباس . (الحراس يقفون بعيداً عنهما)

أحمس : استدعيتُكَ من طيبة يا فرباس لأرى إلى جانبي رجلاً أثقُ به فأبثّهُ دخائلَ صدري فإني أكادُ أختنقُ وأنا كاتمٌ وَجْدِي .

فرباس : أشكرك يا مولاي على هذا الشَّرَف العظيم الذي تغمُرني به ولكنّني لا أرى مَا يحولُ دونَ فرحِكَ وسرورِك . وطَّدْتَ الأمن . وألَّفتَ بين الأحزابِ . وأخمدتَ ثورةَ النّوبة . واستوليتَ على جميعِ بلادِ الشّمال . ولم يبقَ إلا هذه المدينة ولن تقفَ قلاعُها في وجهكَ طويلاً .

أحمس : كيف أكونُ ملكاً على بلادٍ فيها مثلُ هذه

القِلاع . وأيّ عار يَلحَقُ بنا إذا نحن عَجَزْنا عن اقتحام أسوارِها .

إن هذه القِلاعَ لَطْخةٌ سوداء في وجه مُلْكي .

فَلْتَنْقَضَّ عليها الصَّواعقُ والزوابع . . . هي التي أبدتْ لي ضَعْفَ الإنسان على حينَ قمعتُ الفتن ودوّختُ البلدان. (يلتفت إلى أسوار أثاريس) كوني أيّتُها القِلاعُ مَنيعةً ما شاءتْ لكِ المناعة فوَحَقّ آمون لأدوسَنَّكِ بقدمي وأقيمنّ في ساحتِكِ مَجْزَرةً لم يُسمَعْ بها حتّى اليوم .

فرباس : اطمئِنَّ بالاً يا مولاي فإنّك لا محالةَ ظافِرٌ مُنْتَصِر . فشعبُ مصرَ بأسْرِهِ يدعو لك بالفوز والظَّفَر . ومولاتي الملكةُ لا تفْتَأُ ليلَ نَهار تُصلّي للآلهة وتطلبُ منها أن تنصُرَكَ على الأعداء وأن تعيدَكَ إليها سالماً غانماً .

أحمس : أختي تصلّي من أجلي . يا لها من زوجةٍ صالحة . أنا الذي إن مشيتُ في مُعَسْكري تمثَّلَ لي خيالُ نزيتا . وإن رقدتُ بدا لي طيفُها يستعطفُني ويعاتبُني . وإن خلوتُ بنفسي جلستْ إلى يميني تلفحُني نَفَثاتُها المحرقة ويُرْعِشُني لمسُ أصابِعِها الباردة . (يخيل إليه أنه يراها أمامه) إليكَ عنّي أيُّها الخيال . أنا خائنُ الوداد . أنا ناكثُ العهود . إليكَ عنّي إنَّ منظَرك البهيَّ تُشِعُّ منه أنوارُ الطُّهْر يَخْطَفُ بصري . إليكَ عنّي وإلّا تملّكني الجنونُ فأغمدتُ هـذا الخِنْجرَ في صدري يأساً وغمّاً .

فرباس : مولاي رِفقاً . اطرحْ ذكرَ تلك الخائنةِ من فؤادِك . إنّها غيرُ جديرةٍ بأن تفكّرَ فيها وهي التي خانتْ بلادَها وفرّتْ إلى الأعداء تساعدهم علينا . ألَمْ يأتِك أنّها تنتقلُ من بلدٍ إلى آخر تُذكي في قلوبِ

الرُّعاة نارَ الحماسة . . . تثيرُهم علينا . . . تطلعهُم على مواطنِ الضَّعْفِ من جيشنا . فهل يجدرُ بأحمس الأوّل أن يفكّرَ في امرأةٍ مثل هذه .

أحمس : ألستُ منْ أرْدَاها في هذهِ الهاويةِ يا فرباس فأرادت أن تنتقمَ لنفسِها . ألَمْ أُدْمِ قلبَها . ألَمْ أُدْمِعْ عينيها . ألَمْ أُوَطّىءْ لها بجَفائي مِهادَ القَتاد . أنتَ الذي حدوتَني على هِجْرانِها . أنتَ الذي دفعتَني إلى أن أَحْنَثَ بيميني . أَنْكُثَ عهدي . أُخفِرَ ذِمّتي . ثم تلومُها على أن خانت الوطن . أُقْسِمُ أنْ لولا إخلاصُك ووفاؤُك لقلتُ متحاملٌ أنت عليها .

فرباس : مولاي . رُحْماك . أتظنُّني أسِفٌ وأنْحدر إلى مَزالِق الأخلاق فأناصِبَ العِداءَ فتاةً هي ابنة صديقٍ وزميل لي وحبيبة أميرنا المفتدى ومليكنا الهُمام .

أحمس : عَلامَ إذن زيَّنْتَ لي هِجْرانَها بل حمّلتَني عليه حَمْلاً

فانقَدْتُ أنا إلى رأيك بعد إذْ غَشَّت النَّكْبَةُ عينيَّ وتأجّجتْ في صدري نارُ الوطنيَّة والحماسة فما رأيتُ إلّا الوطنَ الحْرِيب يدعوني إليه ويستجيرُ بي.

فرباس : ما كان لأحمسَ الأول إلّا أن يكون ذلك الرّجُل. أفتُريدُ يا مولاي أن تَنْتَقِصَ قَدْرَ تضحيتك. والآلهةُ شاهدةٌ على عظيمِ فَعالِك وإيثارِك ذاتَ الوطن على ذاتِ نَفْسِك.

أحمس : وهَلْ إيثاري الوطنَ على نفسي كان يقتضيني أن أَسْلُكَ سبيلَ الغَدْر. أكنتَ تظنُّ أختي تُحْجِم عن البَذْلِ والفِداء إذا كان في ذلك منجاةُ الوطن. أما رأيتَ كيف نزلتْ عن أموالِها وعن حقِّها في تسنُّم ذرْوَة العرش راضيةً مختارة يومَ أَنْهَيْنا إليها أن الوطن يستصرخها ويناديها إلى البَذْل والتّضحية. ألا تعتقدُ أنّها فعلتْ ما فعلتْ عن وطنيّة وسموّ

نفس . أكان من المحتوم وتلك خلالُها الرَّفيعة أن أتزوّجها لأمزّقَ قلبَ نزيتا وأرمِيَ به إلى الحقد والضّغينة . . .

فرباس : مولاي لا تَبْخَس الشُّيوخَ حكمَتَهم وتجارِبَهم فالشّابُّ إذا نظَرَ إلى الحياة فإنما ينظرُ إليها نظرةَ الواقف في سَفْحِ جبل . فمهما رمى بنظره إلى القِمّة فهيهاتَ أن يَسْتَجْلِيَ ما فيها وما وراءها من خوافٍ ومجاهل . في حينِ ينظرُ الشّيخُ إلى الحياة نظرة الواقفِ في قمّة الجبل يُشْرِفُ منها على السُّفوح والأودية . وتنبسطُ أمام عينيه الرُّبود والثَّنايا ومنعرجاتُ الجداول والقيعان . فما من مَجْهَلٍ إلا وهو لديه مَعْلَمٌ وضّاح . . .

أحمس : أفرأيتَ إذن ما عَزَّ عليَّ أن أراه . . .

فرباس : مولاي عَفْوًا . . . إنَّ مَنْصِبي وسِنّي وخِبْرَتي

بعطاوي النفوس . كلُّ ذلك قد مكَّنني من أن أكونَ صادقَ الحكم على الأمور أتوغَّلُ إلى كُنْهِ الأشياء فألْمُسُ فيها الحقائق والدّقائق . . . إن أختك نفرتاري لعلى ما ذكرتَ نُبْلًا وجُودًا ورفعةً ووطنيّة . ولكنّها لا تعدو أن تكون امرأة . والمرأةُ أضْعَفُ من أن تتغلّبَ على أهواءِ الرّجال ولا سيما إذا كانوا على مكرٍ وحيلة ودَهاء . . .

أخمس : مخاوِفُك ووساوِسُك هذه قد بَدَّدْتُها كما يُبَدّدِ الرّيح الْحَباب . . .

فرباس : من حسن حظّ البلاد أن عَبَثَت الرّيح بالْحَباب فلو قُدِّر لها أن تضطرم جوانِبُها بأقباسِ اللهب وجذواتِ الْجَمْر لأَذْكتها الرّيح واندلعت منها ألسنةُ النّيران... والعاقل لا يستصغرُ شأنَ عدوّه حتى يستظهرَ عليه . . . ومن نِعَم الآلهةِ عليك أن كانت الثَّوْرات

والفتن في بلادك حَباباً ذابَ عند أول عصفةٍ من ريحِ عزمك وهمَّتك . . . فرغتَ من جهادك الأصغر. ثم تفرّغتَ لجهادك الأكبر فبلغتَ فيه غايةً تُحْمَدُ عليها . فسلِّطْ عواصِفَك على الأَعداء وأَحْرِقْهم بنيرانهم . . .

أحمس : (مفكراً مهموماً) ونزيتا . كيف السَّبيلُ إلى نِسْيانها وسلوّ حبّها .

فرباس : إنك حقيقٌ يا مولاي أن لا يخامرك على هذه الفتاةِ الآثمة أسفٌ ولا نَدَم فقد أظهرت الأيّامُ خُبْثَ مَعْدِنِها . وهيهات أن تَجِدَ لإثْمها وجريرتها شفيعاً ولا عذرًا .

أحمس : أليست هي أيضاً امرأةً ضعيفة . أَنَعْذُلُها على أن كانت فريسةَ الشُّجُون فباعدتْ بها أهواء الفؤاد عن محجّةِ الصّواب .

فرباس : النَّفسُ السّاميةُ النبيلةُ يا مولاي لا تَستَمْرِئ الدَّعاوي والدَّواعي لتتَرَدَّى في حَمَآت الإثم والعار . فإن نَكَبَها الزّمنُ انطوتْ على آلامها وأصمَّتْ أُذُنيها عن فحيح الثّأْر . وارتفعت بنُبْلِها إلى الآلهة شاكرةً راضية . ولكن من كان على شاكلةِ هذه الفتاة هَواناً وصَغاراً وذِلَّةَ نفسٍ وغَثَّ عُنْصُر فأيسرُ خَطْبِها أن تُضَحّيَ بالوطن في سبيلِ ثأرِها وشِفاء صدرها من حزازةٍ نغَلَتْ فيه بِصَدَإِ الأوهام . . .

أحمس : حَسْبُكَ يا فرباس حَسْبُكَ فقد رميتَ فأَصْمَيْت . . . ومهما يكن كلامُك رزيناً سديداً فقلبي ينفرُ من أن أتخيّل نزيتا آثمةً مذنبة . . . قُلْ إني أنظرُ إليها بعين المحبّ الصّابي . . . قُلْ إن حبّي إياها يصوّرها لي بريئةَ الفؤاد نقيَّةَ الذّيل ولكنّ في جنبيّ إحساساً خفيًّا يهتِفُ بي أنّ نزيتا غير آثمةٍ ولا خائنة . . .

(يسمع ضجة في الخارج)

أحمس : هَلْ جُنَّ هؤلاءِ المحمومونَ فنزلوا من حُصُونهم

(يدخل جنديان ومعهما امرأة ملثمة . يصيح أحمس بالجنديين)

أيّها الجنديّان . (يلتفتان فيريانه فيؤديان التحية العسكرية)

المشهد السابع

أحمس . فرباس . الجنديان . المرأة الملثمة . الحراس .

أحمس : إلى أينَ أنتما ذاهبانِ بهذه المرأة .

جندي : مولاي رأينا هذه الجاسوسةَ تحومُ حولَ حدود المعسكر فقبضنا عليها وكنَّا ذاهبينَ بها إلى قائد كتيبة أمون .

جندي : وددتُ لو أقضي عليها بسهم لولا أنَّها استحلفتني بأقدسِ الأشياءِ عندي أن أُبقيَ عليها حتى تقابلَ الملك .

أحمس : حسن . كونا على مسمع من صوتي .

الجنديان : سمعاً وطاعة . (يخرجان)

المشهد الثامن

أحمس . فرباس . المرأة الملثمة . الحراس .

أحمس : أنا هو الملك أيتها السيدة فماذا تريدين .

المرأة : (تسكت مضطربة)

أحمس : ما بالكِ تضطربين . ارفعي عنكِ هذا اللثامَ وكلميني وَجْهًا لِوَجْه .

(تزيح اللثام)

أحمس : (مدهوشاً) نزيتا . . .

نزيتا : نعم نزيتا .

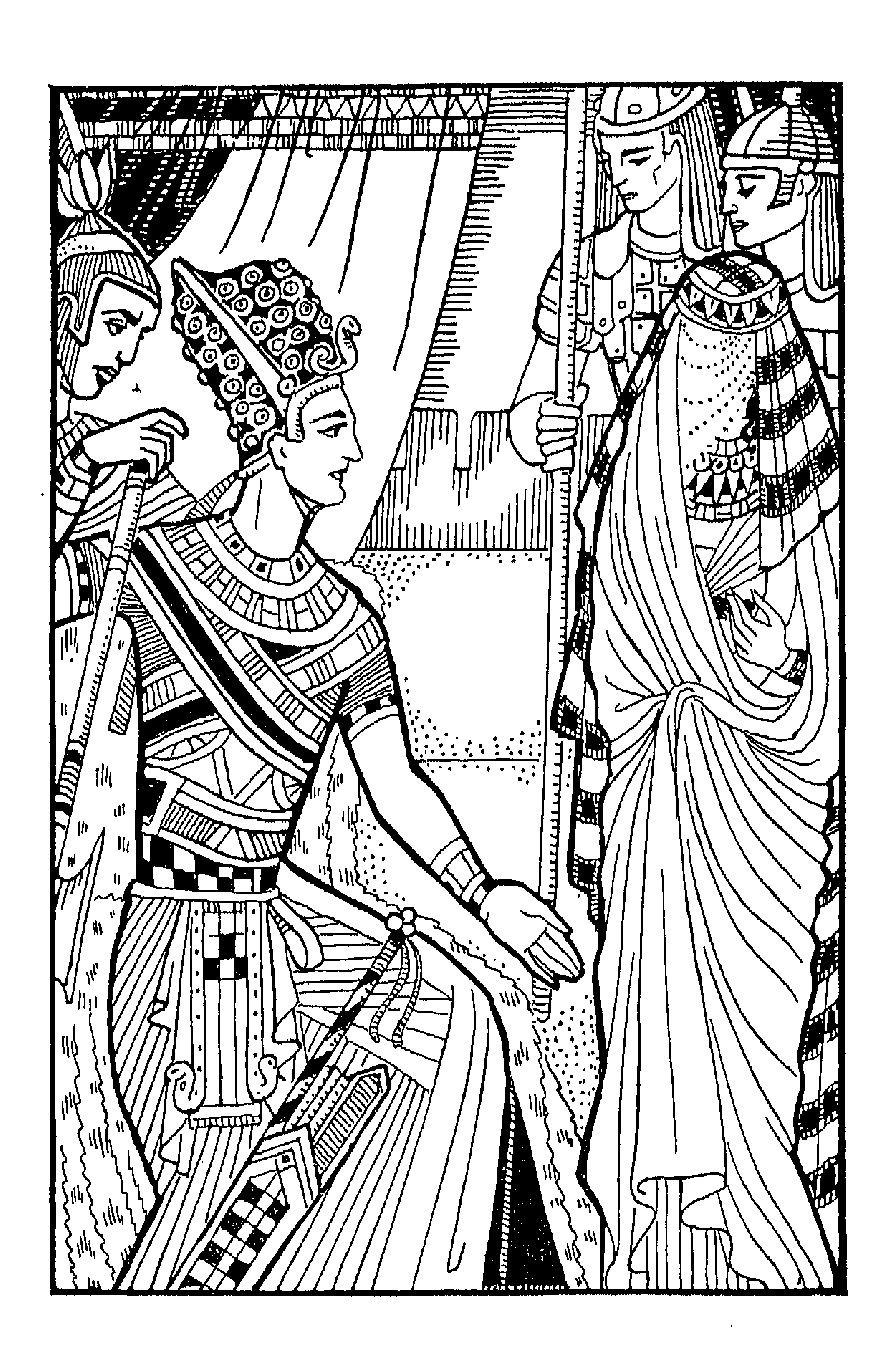
أحمس : أفي حلمٍ أنا أم في يقظة (يتلمس نفسه ثم يحدق فيها فلا يبقى عنده شك أنها هي)

أحمس : ما الذي أتى بكِ إلى هنا يا خائنة .

فرباس : ليس للخائناتِ نصيبٌ من حديثِ الملوك .

مولاي مُرْ بعضَ هؤلاء الحرّاس بضربِ عنقها .

نزيتا : (تحدج الوزير بنظرها)



أحمس : ما كنتُ أتوقَّعُ أن أراكِ يا خائنة .

نزيتا : لقد خنتَني أنت .

أحمس : ألا تعرفينَ نصيبَ الخوَنة .

نزيتا : الموتُ والحياةُ عندي سيّان .

أحمس : بأيّ وجهٍ تمثُلينَ أمامي يا من خُنْتِ الوطن . يا من انضممتِ إلى هؤلاء الرُّعاةِ حتى مات أبوكِ حزنًا عليك . مات وهو يلعَنُكِ يا خائنة .

نزيتا : لستُ بخائنة .

أحمس : أغريتِ بنا الرُّعاة. دللتِ جيوشَهُم. حمَّسْتِ جنودَهم . كفلْتِ لهم الانتصار . ولكن شاءت الآلهةُ أن تكذّبَكِ . شاءت الآلهةُ أن تخيّبَ مسعاكِ يا خائنة .

نزيتا : لستُ بخائنة .

أحمس : كيف طاوعَكِ وجدانُك أن تريْ بلادكِ فريسةً بين بَراثِنِ الأعداء . أن تشاهدي قومَكِ عبيدًا

أذلّاء . أن تنظري الهيا كلَ مُدَنّسةً والأطفالَ مُيتَّمةً والمدنَ مهدّمة . كيفَ أقدمتِ على ذلك . ألم تخشَيْ أن يَخْسِفَ الإله أمون بكِ الأرضَ التي تمشين فوقها يا خائنة .

نزيتا : لستُ بخائنة .

أحمس : لا أدري ما الذي يمنعني أن أذيقَكِ حَتْفَكِ وأطرحَ جثّتكِ في العَراء تنوشُها الوحوشُ وتشربُ من دمائكِ الطير (تعاوده ذكرى الماضي فيلطف من حدته) . أتخونين بلادًا نمتْكِ وسماءً أظلّتْكِ ونيلاً أرْواكِ . لقد وشّحتْكِ الخيانةُ بثوبٍ أدْكَنَ محا ذلك الجمالَ الذي كنتِ عليه . لو نظرتِ إلى خيالِ وجهِكِ في صفحةِ المياه لراعَكِ هذا الهُزال .

نزيتا : هو هُزالٌ سيُفضي بي إلى القبر .

أحمس : كأنّي بكِ تريدين أن تُثيري في قلبي الشُّجون .

نزيتا : بل أذكّرك بالعهدِ القديم لتعلمَ أني مازلتُ أحبُّكَ وأحبُّ وطني .

أحمس : لا أفهمُ كلامَك .

نزيتا : كنتُ أتتبّعُ أخبارَك فأفرحُ لانتصارِك .

أحمس : أتفرحينَ لانتصاري وأنتِ بين أعدائي تستنهضين هِمَمَهُمْ عليّ .

نزيتا : (يأخذها الغضب) على رِسْلِكَ . لقد أزْريتَ في القَدْحِ واللَّوْم . أتظنُّني أقلّ وطنيّةً منك ومن وزيرِك ومن جنودِك . هربتُ إلى الأعداء . نعم . ولكن لأكونَ عوناً لك عليهم . كنتُ أطوفُ على بني وطني الذين حَكَمَ عليهم نحسُ الطّالع أن يكونوا في خدمةِ الرُّعاة . كنتُ أوغرُ صدورَهم وأثيرُ ضغائنَهُمْ وأحثُّهم على التمرّدِ والعِصْيان . . . كنتُ السّببَ في حَرْقِ المؤَن وتبديدِ الأسلحةِ وإلقاءِ الرُّعبِ في

قلوبِ كثيرين من القوّاد . (تسكت قليلا لتستجمع قواها)
كم تذلّلْتُ للعبيد والحرّاس حتى أعرفَ بعضَ الأسرار . كم تحمّلتُ نظراتِ هؤلاء الأجلاف . كم بتُّ على الطّوى . كم قضيتُ الليل سهرًا أسترقُ السّمع . كم رفرفَ فوقي طائرُ الموت فنجوتُ منه . فعلتُ كلّ ذلك من أجْلِ وطني ومن أجْلك يا ناكرَ الجميل . ولكنّك أعمى لا ترى . أفتتّهمني بعدَ هذا بالخيانة أم تسمعُ لوزيركَ فتأمر بضرْبِ عنقي .

أحمس : عفوكِ يا نزيتا فما دريتُ ما فُهْتُ به .

نزيتا : لا لومَ عليك ولا تَثْرِيب . قل لوزيرِكَ وحرّاسك ليتركونا قليلاً فعندي ما أحدّثك به . (يشير أحمس إليهم فيخرجون .)

المشهد التاسع

أحمس . نزيتا .

أحمس : نزيتا . أكرّرُ لكِ العذرَ لقد كنتُ أعمى .

نزيتا : ما جئتُ لأسمعَ اعتذارَكِ بل جئتُ لأقولَ لك إنَّ هذه القِلاعَ التي عجزتَ عن فَتْحِها ثلاثَ مرّات سأمكّنُكَ منها في المرّةِ الرابعة .

أحمس : كيف ذلك . قُولي . إنّي أحسُّ بقلبي يكاديخرجُ من صدري .

نزيتا : هوّنْ عليك واعلمْ أنَّ هذا المحيَّا الذي ترى أنّه غيَّرَهُ الهُزال هو اليومَ فتنةٌ لرئيسِ الحرّاسِ في هذه القِلاع .

أحمس : وَيْلكِ هل أتيتِ تدفعينني إلى الجنون . ما عَهِدْتُكِ تتجاوزينَ حَدَّ النُّهَى في سبيل الثأر والانتقام .

نزيتا : إنَّ هـذا القلبَ قد أحبَّ فتًى واحدًا هو الأمير أحمس ولن يُحِبَّ ما عاش أحدًا سواه .

أحمس : قلتِ إنّكِ عشيقةُ رئيس الحرّاس .

نزيتا : بل أنا عشيقةُ اثنين . الواحد رئيسُ الحُرّاسِ في هذه القلاع . والثاني رئيسُ حرسِ قصرِكَ فيما مضى .

أحمس : أطاهو معك في هذه القِلاع .

نزيتا : لبثَ زمنًا يرجو أن أكونَ له حتى هربتُ من طيبة ولم يعرفْ مَقَرِّي إلا بعد سنتين . وهو اليومَ متمتّعٌ بثقةِ ملك الرُّعاة وله المقامُ الأول في هذه القلاع .

أحمس : لو ظفرتُ به لبقَرْتُ بطنه .

نزيتا : ومن نَكَدِ الدُّنْيا أني لا أستطيعُ أن أُغْلِظَ له في القول خوف أن يفضحَ سرّي .

أحمس : يا له من خائنٍ زنيم (يسكت قليلا) إذن أنتِ فريسةُ عاشقين .

نزيتا : مالي أرى عقاربَ الغيرة قد لسعتك .

أحمس : كيف لا تلسعُني بعد إذ علمتُ أنَّكِ محطُّ آمالِ رجلين .

نزيتا : مالكَ أنتَ وغرامي . ألم تطلبْ منّي أن أنسى الماضيَ وأتركَكَ وشأنكَ لتتزوَّج أختَك . فأيُّ حقٍ لك عليّ بعد هذا .

أحمس : نزيتا رفْقاً .

نزيتا : كنتَ تُحِبُّني فسألك الوطنُ أن تضحّيَ بي فأجبتَه .

أحمس : هل جئتِ تثأرينَ لنفسكِ مني .

نزيتا : لقد كرّرتَ عليَّ هذا القول فعَدِّ عن هذه الأوهام . فلا رئيسُ الحرّاس نال مني وطَرَه ولا طاهو الخائنُ أدركَ مني غايتَه . (يتهلل وجهه) وأنا لم أتجشَّم الأخطارَ

وأعرّض نفسي لِسهام الجيشين لآتيَكَ وأخبرَكَ بمن يحبّونني . جئتُ كما قلتُ لأمكّنَك من دخولِ أقاريس .

أحمس : وكيف ذلك .

نزيتا : يُقامُ في قصر ملك الرُّعاة هـــذه الليلة حفلٌ ساهر يحتفلُ فيه هؤلاء الرُّعاة بذكرى خذلانِ جيشِك . فإذا مرَّ الهزيعُ الثاني من الليل وبلغ السكرُ منهم مبلغَهُ استدعيتُ رئيسَ الحراس إليَّ سرًّا واستطعتُ أن أغرِيَهُ بفتح بابِ القلعةِ الكبيرة فتدخلَ منه أنت وجيشُك وتفوزَ بالقلاع كلها . هل فهمت .

أحمس : لا . لم أفهم . إنَّ خطّتَكِ هذه لا تروقُني فما كنتُ لأتّكلَ في معاركي على حِيَلِ النساء ولا سيما إذا عرّضْنَ شرفَهُنَّ للخطر .

نزيتا : أنا لا أعرّضُ شرفي للخطر من أجلِك بل من أجلِ

وطني . ومتى رأيتُني مشرفةً على الخطر أغمدتُ في صدري قبل أن يُثلمَ عِرضي هـذا الخِنْجرَ الذي لم يامسْهُ حرّاسُك . (تخرج من طيات صدرها خنجراً صغيراً)

أحمس : جميلٌ ما تقولين بيْدَ أنّني لا أقبل فأنا إنْ هاجمتُ لا أهاجم غِيلةً وخِداعاً . لقد كنتُ في جميعِ غَزواتي مِثالَ الجنـديّ الشريف فلا تُلوّثي سُمْعَتي بخُطّتَكِ هذه .

نزيتا : ما الحربُ إلا خدعة فما يُعجزُ عنه بالقوّة يدرك بالحيلة .

أحمس : لستُ من الألى يدركون حقوقَهم بالحيلةِ والخِداع .

نزيتا : أتأبى عليَّ يدَ المساعدة التي أقدّمُها لك .

أحمس : كلَّ الإباء .

نزيتا : أتشمئزُّ من عونِ امرأة .

أحمس : قد يكونُ ذلك .

نزيتا : أحمس . لا تكن عنيداً .

أحمس : هيهاتَ أن أقبل .

نزيتا : أتوسَّلُ إليك راكعةً أن تقبل . (تركع)

أحمس : انهضي فلا أطيقُ أن أراكِ راكعة .

نزيتا : إذن تقبل ما أعرضهُ عليك .

أحمس : لا . فإن قبلتُ فمعنى ذلك أني مدينٌ لكِ بالنّصر ولن أكون مديناً لأحدٍ في تحرير بلادي ولو كان أحبَّ الناس إليّ .

نزيتا : ويحكَ هل جُننت . إنَّكَ ضحّيتَ بحبي في سبيل الوطن فما لك لا تُضَحّي بشيء من كبريائك في هذا السبيل .

أحمس : إنّي رئيسُ الوطن وممثّله لدى الآلهة فما أصابني في شَرَفي أصابَ الوطن . ثم ما حاجتي إلى الحيلة وأنا واثقٌ بالنّصر .

نزيتا : إنّك تفقدُني الصَّواب . ألا يروقكَ أن تستوليَ على هذه القلاعِ المنيعةِ وتحقنَ بعضَ الدِّماء .

أحمس : أستبيحُ إراقةَ دمي في الدفاع عن الوطنِ دفاعاً شريفاً . لقد بثثتُ روحَ الحماسةِ منذُ قليلٍ في نفوسِ القوّاد وسوف يبثّونهـا في نفوسِ الجنود وهم يستعدّون الآن لهجوم عام أبتدىء به هـذه الليلة . فإمَّا أن نستوليَ على هذه القِلاع وإمَّا أن نموتَ في ساحةِ الشَّرَف .

نزيتا : ألا تسمعُ نُصْحِي فتنتصرَ .

أحمس : سأنتصرُ بغيرِ سَماعِ نصحِك .

نزيتا : هل يطاوِعُكَ فؤادُك أن تردَّني خائبة .

أحمس : يعزُّ عليَّ ذلك .

نزيتا : (تهم بالخروج) أستودِعُكَ الآلهة إلى الأبد .

أحمس : إلى أين أنتِ ذاهبة .

نزيتا : راجعةٌ إلى الرُّعاة .

أحمس : أتعودين إلى هؤلاءِ المناكيد .

نزيتا : كيف لا وقد طردتَني شرَّ طرْد .

أحمس : نزيتا .

نزيتا : أنا عائدةٌ إلى حيثُ لا يُرْفَضُ لي طلب ،

أحمس : عُودِي إلى طيبة مسقطِ رأسِك .

نزيتا : لا .

أحمس : أمنعُك .

نزيتا : أنتحرُ قبلِ أن تمسَّني يدُ جنديٍّ من جنودِك .

أحمس : ما أشدَّ عنادَك .

نزيتا : يعادِلُ عنادَك .

أحمس : أخافُ عليكِ من الموت .

نزيتا : وأنا أُعِدُّ لك رواقَ العزّ .

أحمس : (وقد ضاق ذرعاً) أما من سبيلٍ إلى الرُّجوع عن عزمِك .

نزيتا : لا .

أحمس : لا حبَّذا يومٌ استسلمتَ فيه يا قلبُ إلى الحُبّ والغرام (يخاطب نزيتا) اذهبي حيثُ شئتِ فما كنتُ لأعترضَ سبيلك (تأخذه سورة شديدة من الغضب) يمين الآلهة لا ينقضي هـذا الليلُ حتى أكونَ داخلَ أسوارِ أثاريس . إنّ أحمس إذا قال فعَل . أيُّهـا الحرّاس (يدخل الحراس والجنديان وفرباس) أيّهـا الجنديّان اتبعا هـذه السيدة وأوصلاها حتى آخرِ حدود المعسكر (تخرج نزيتا مع الجنديين) النفير . . . النفير . . . فقد عزمتُ على الهجوم للحال . (يضرب النفير فيهرع الجنود والقواد من كل ناحية تاركين مضارب خيامهم فيمتلىء المسرح بهم ويصطفون كتائب على رأس كل منها قائدها) .

أحمس : أيُّها الجنود . لقد دنت الساعةُ الرهيبةُ التي تحملُ لكم العزّ والشَّرف . شاءت الآلهة أن نتراجعَ ثلاثاً

لأنَّ في الجيش جنديًّا يشكُّ في النّصر فليبرزْ لنرى
كيف يكونُ وجهُ الجبان . أتخذلُكم صخورٌ صُمٌّ .
أوَ تُعجزُكم أسوارٌ حقيرة وقد بنيتم الأهرام .
أترضَوْنَ أن تتحكَّمَ فيكم شعوبٌ من الهَمَجِ الرَّعاة
يسبونَ نساءَكم ويذبحونَ أطفالَكم ويهدمونَ
معابدَكم (همهمة في الجيش وحماسة) .

الجنود : لا لا لا .

أحمس : عارٌ علينا إذا جاء بعدنا أبناؤنا وأحفادُنا وقالوا كان
جنودُ أحمس جُبَناء . دنت السّاعةُ الرهيبة . اهْجُمُوا
على هذه القِلاع . اِهْدِمُوها خَرِّبوها . أَعْمِلوا
سلاحَكم في قلوبِ حُرّاسها . اِصْبغُوا ألوانَها بدمائهم
واجْعَلوا الدِّماء ممزوجةً بتلك المياه التي تحيط بها .
(يوجه الخطاب إلى القواد)

وأنتم يا قُوَّادي الأعزّاء كونوا على رأسِ جنودِكم وعلّموهم كيف ينتصرون . أمَّا أَنا فسأسيرُ في مقدمتكم لأعلّمكم كيف تموتون .

الجميع : الموت في سبيل الوطن .

(يضرب النفير الثاني فتسير الجنود مارة أمام الملك وهي تنشد النشيد الوطني ثم يسدل الستار)

النشيد الوطني

يَا بَنِي ٱلْأَوْطَانِ هَيَّا نُدْرِكِ الثَّأْرَ ٱلدَّفِينْ
نُسْرِجُ ٱلْخَيْلَ وَنَسْعَى لِلْوَغَى مُسْتَبْسِلِينْ
لَيْسَ مَنْ يَرْضَى بِذُلٍّ غَيْرُ شَعْبٍ مُسْتَكِينْ
نَحْنُ أَبْنَاءُ جُنُودٍ فَتَحُوا كُلَّ حَصِينْ
نُغَالِبُ ٱلزَّمَنْ وَنَصْرَعُ ٱلْمِحَنْ
وَنَفْتَدِي ٱلْوَطَنْ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنْ

* * *

نَحْنُ إنْ سِرْنَا لِحَرْبٍ قِيلَ آسَادٌ جِيَاعْ

نَمْلَا ٱلْجَوَّ زَئِيراً يُرْعِبُ ٱلْقَلْبَ الشُّجَاعْ
فَخْرُنَا قَهْرُ ٱلْأَعَادِي دَأْبُنَا دَكُّ ٱلْقِلَاعْ
هَمُّنَا إِنْقَاذُ مِصْرٍ مِنْ وُحُوشٍ وَسِبَاعْ
نُغَالِبُ ٱلزَّمَنْ وَنَصْرَعُ ٱلْمِحَنْ
وَنَفْتَدِي ٱلْوَطَنْ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنْ

* * *

نَطْلُبُ ٱلْمَوْتَ لِيَحْيَا وَطَنٌ نَحْنُ فِدَاهْ
رَخُصَتْ فِيهِ الضَّحَايَا وَتَرَامَتْ فِي ثَرَاهْ
كُلُّ مَا نَطْمَعُ فِيهِ مِيتَةٌ دُونَ حِمَاهْ
مَنْ تَحَدَّانَا نُخَضِّبْ أَرْضَ مِصْرٍ بِدِمَاهْ
نُغَالِبُ ٱلزَّمَنْ وَنَصْرَعُ ٱلْمِحَنْ
وَنَفْتَدِي ٱلْوَطَنْ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنْ

* * *

أَنْتِ يَا مِصْرُ بِلَادٌ هِيَ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمْ
ذِكْرُهَا فِي ٱلْفَمِ سِحْرٌ وَهَوَاهَا فِي ٱلصَّمِيمْ

أَنْتِ مَجْلَى كُلِّ مَجْدٍ مِنْ حَدِيثٍ وَقَدِيمْ
دُمْتَ فِي عِزٍّ مَنِيعٍ فِي حِمَى « رَاعَ » الْعَظِيمْ
نُغَالِبُ الزَّمَنْ وَنَصْرَعُ الْمِحَنْ
وَنَفْتَدِي الْوَطَنْ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنْ

ستار

الفصل الثالث

تجري حوادث هذا الفصل داخل أسوار أثاريس في قصر ملك الرعاة .

المشهد الأول

نزيتا وحدها

واقفة في زاوية من زوايا البهو الكبير تنظر إلى الموائد الممدودة استعداداً للحفل ولا تكاد تراها فقد كانت مستسلمة إلى التفكير العميق ثم تنتفض فجأة وتناجي نفسها .

نزيتا : أينَ أنتَ أيُّها الصَّبْر فتُنْقِذَني من براثنِ الهمّ والغمّ والجْزَع . أين أنتِ أيَّتُها الآلهة فترْأفي بفتاةٍ خانتها قواها فأصبحتْ لا تَقوْى على مواصلةِ الكفاح . أين أنتَ أيُّها الموتُ فتنتشِلَني من عَذابِ الدُّنْيا إلى راحة الأَبَد . أين وأين وأين . وكم من سؤالٍ مثْلِ هذه الأسئلة يجأرُ به الصوتُ الحزين ولكن سُرْعانَ ما يبتلعه العَدَمُ فلا جوابَ ولا صدى . حاربتَني يا زمانُ في حُبّي

وغرامي فانتزعتَ منّي الحبيبَ وقد كان ضياءَ العين وخَفْقَةَ الرُّوح وريحانةَ الفؤاد . ثم حاربْتَني في تضحِيَتي فلم تُلْهِم أحمس بقَبُول معونتي فانْهارَ الأمل وضاعَ الرَّجاء وذهبتْ تضحيتي سُدًى. فلستُ اليومَ في أَعْيُن أهلي وعشيرتي ووطني إلا الخائنةَ الأثيمةَ التي فرّت إلى الأعداء لتشفيَ ببِرّهم وفَضْلهم حزازاتِ صدرها المستعرِ بنارِ البُغْض والشَّحْناء . أيَّتها الآلهة يا من تعرفينَ نجاءَ القلوب وهَمْسَ النُّفوس ساعِدِي فتاتَكِ الحَيْرَى . فَلقاءُ الحبيب وجَفاؤه وكبرياؤه قد أَذْوَى من نفسها كُلَّ أملٍ ناضرٍ بَسَّام.

(تسكت قليلا ثم تتمشى في البهو مطرقة الرأس وعلى حين غرة ترفع رأسها فترى طاهو مقبلا عليها) .

المشهد الثانى

نزيتا . طاهو .

طاهو : لقد وجدتكِ أخيرًا فأين كنتِ .

نزيتا : ما شأنُكَ أنتَ . هل أُقمتَ عليّ رقيباً .

طاهو : لا . غَيْرَ أنَّ الذّهابَ إلى معسكرِ أحمس يعرّضُكِ للخطر .

نزيتا : هذا أمرٌ لا يَعْنِيك .

طاهو : لو رآكِ أحدٌ غيري لما سلمتِ من الموت . فما كلهم « طاهو » الذي نزلتِ من قلبه في الشّغاف .

نزيتا : ما أَنت « طاهو » الذي عرفتُه . فطاهو الذي يحدّثني الآن إنما هو رجلٌ خائن غدّارٌ أثيم . . .

طاهو : ترفّقي قليلًا يا نزيتا. ألا تشعرين بأنّه لا يهنأُ لي عيشٌ إلا بقُرْبك .

نزيتا : بِئْسَتِ الحياةُ بقُرْبِ خائن .

طاهو : ليس لمثلِ هذهِ الألفاظ أقلُّ تأثيرٍ فيّ .

نزيتا : حقًّا . فإنّ مَنْ عَبَدَسو تيخ الذي غضبنا عليه . إنَّ مَنْ باعَ وطنَهُ لقــاءَ بِدَرٍ حقيرة من الأموالِ ليس له وجدانٌ يوبّخه .

طاهو : وجدان . . . أضيفي كلمة وجدان إلى لفظة خائن فما هي إلا وهمٌ وخيال . أمّا الحقيقةُ التي لا جِدالَ فيها فهي ما يتمتَّعُ بِهِ الإنسانُ في هــذه الحياةِ من عزٍّ وجاهٍ ومال .

نزيتا : يا لكَ من خائن .

طاهو : وبفتاةٍ فتّانةٍ مثلك هي بهجةُ الحياةِ وأملُ النّفوس .

نزيتا : خَسئْتَ فإنّك لن تنالَ قُلامَةً من ظُفْرِي .

طاهو : هَــدِّئِي روعَكِ واعْلَمي أَنَّ كلَّ مَنْ يعتقدُ بشيءٍ يُسَمَّى وطنًا إنّما هو مجنونٌ أَبْلَه . ماذا يهمُّني أَنْ تكون بلادي حُرَّةً أو مُسْتَعْبَدة . وماذا يهمُّني أن نكونَ حكّامَ العــالمين أو عبيدًا أذلّاء ما دامت

خزانتي مملوءةً بالذّهب وما دمتُ رفيعَ القدْرِ أقابَلُ بالتعظيم والإجلال أنَّى كنت .

نزيتا : فَقَأً أمون عينيك حتى لا ترى مجالي هذا المجد الذي تُزهَى به .

طاهو : إنّ غضبكِ وحدّتك يزيدانك بهاءً وجمالاً . أمازلت مصرَّةً على عنادكِ .

نزيتا : ما للخوَنَةِ نصيبٌ من عطْفِ بنات الأشراف .

طاهو : إذن لقد تجلّت الحقيقةُ لعينيَّ فأنت تكرهينني وتحبّين رئيس الحراس في هذه القلاع فكم رأيتُكما مختليين تتناجيانِ بأحاديثِ الهوى والغرام .

نزيتا : حَسْبُكَ أَن تعلم أَنَّ قلبي لا يتّسعُ لحبّ رجلين .

طاهو : ويلٌ لك لأهلكنَّك أنتِ ومَنْ تحبّين . ما كان يمنعني من كشْفِ أَمركِ لملك الرّعاة حتى اليوم وإطلاعه على أنّكِ جاسوسةُ أحمس عليه إلا ما يخالجُ

قلبي من عاطفة الحبّ لك . أمَّا وأنتِ تُحبّينَ هـذا الحارسَ فسأكشفُ أمركِ فلا تطلعُ شمسُ غدٍ حتى تكوني أنتِ وحبيبك جُثّتين هامدتين .

نزيتا : هيهات . إنَّ من أُحِبُّه لن تصلَ إليه يداكِ . ولئن جمعَتْهُ الآلهةُ بك ليوردنَّكَ حَتْفَك .

طاهو : هذا القَدَرُ يورِدُني حَتْفي . سوف تَرَيْنَ مصيرَه .

نزيتا : اِرْمِ بِه حيثُ شئتَ فما كنتُ لأكترثَ له .

طاهو : (متودداً لها) نزيتا لِمَ هذا الجفاء . تعالَيْ نترك هـذه القلاع ونهرب إلى بلدٍ بعيدٍ نعيشُ فيـه آمنين مطمئنّين فعندي من الأموالِ ما يَكْفُلُ لنا حياةً سعيدةً هنيئة .

نزيتا : حملتني آلهة الشرّ إن فعلتُ هذا . أأنا أسيرُ معك ...

طاهو : إذا كنتِ تفضّلين البقاء هنا فأنا طَوْعُ بَنانِك . غداً إذا شئتِ يُحْتَفَلُ بزواجنا .

نزيتا : أَأُزَفُّ إلى من خان بلادَه .

طاهو : أيُّ جيشٍ هذا الذي تمرّ السّنون ولا يستطيعُ أن يستوليَ على قلاعِ الأعداء ويطردَهم منها .

نزيتا : سيُفْلِحُ عمّا قريب .

طاهو : أضغاثُ أحلام .

نزيتا : كذّبتكَ الآلهة .

طاهو : ما لنــا ولهذا . لتنزِل الصَّواعقُ على الوطنين . حسبي أنّي أفوزُ بكِ وأتمتَّعُ بجمالك . (يهم بتقبيلها)

نزيتا : ارجع عنّي وإلّا ملأتُ هذه القلعةَ صياحاً .

طاهو : (يهجم عليها ثانياً) نزيتا إنّي أحبُّكِ حبًّا يقاربُ الجنون .

نزيتا : قلتُ لكَ ارجِــعْ عنّي . (يدخل رئيس الحراس)

المشهد الثالث

نزيتا . طاهو . رئيس الحراس .

رئيس الحراس : (يرى طاهو هاجماً على نزيتا) خَسِئْتَ يا نَذْل . أَفي حِصْنِ الملك أبوفيس يُعْتَدَى على النِّساء . وحَقِّ سوتيخ

العظيم لولا حُرْمَةُ هذا المكانِ لمثَّلْتُ بكَ تمثيلًا .

طاهو : (يذهل أولا للمباغتة ثم يستعيد جأشه) أأنت تُمثِّلُ بي أيُّها الوغدُ الجبان . ألا تعلم أن حياتَك وحياةَ هذه الفاجرة مُعلَّقتَان بكلمة تلفظُها شفتاي .

(تضطرب نزيتا وتخشى أن يفضح طاهو سرها)

رئيس الحراس : وماذا عساك تقول أيُّها النَّذْل . أتقولُ للملكَ أبوفيس بعد إذْ أكْرَمَ مَثْواكَ وأنْزلك المنزلةَ الكريمة في بلاطه أنك تُدَنِّس قصره وتَعْبَثُ بحُرْمَةِ جَواريه .

طاهو : (ينظر إلى نزيتا نظرة ذات معان) بل أقولُ له كلمةً واحدة كفيلة بأن تُطيحَ برأسِكَ ورأسِ هذه الدَّنِسة .

(ينتفض رئيس الحراس ويهم بالهجوم على طاهو فتقف نزيتا بينهما وتقول وهي مضطربة تخاطب رئيس الحراس)

نزيتا : سيّدي . سيّدي . لا تَحْفِلْ بكلامٍ لا طائلَ تحته . والْزَمْ ما عرفتُك عليه من سَكينةٍ ووَقار . واسْخَرْ

مِن وَعيدٍ لا يتجاوزُ شَفَةَ قائله . لئن استطاعتْ كلمتُهُ أن تُطِيحَ برأسي إِنّي لا إخالُها بالغةً منكَ مأرباً . . .

رئيس الحراس : وحقِّ سوتيخ العظيم لَأُمَزِّقَنَّ بذُبابة سيفي شفتيه الأثيمتين قبل أن يتناولكِ بكلمة سوء . . .

طاهو : وَيْحَكَ أَيُّها المغرور . أتتوعَّدُني وأنت تعلمُ أن سيفي أَسْرَعُ إلى قلبكَ من مَطارِحِ الظُّنون . سَلْ إن شِئْتَ خليلتك هذه تخبرك الخبرَ اليقين . . .

(ثم يخرج وهو يتدول هازئاً) إلى المُلْتَقَى القـــريب يا آنستي . . . إِلى المُلْتَقَى القريب أَيُّها البَطَلَ المِغْوار . . . (تثور ثائرة رئيس الحراس لهذه السخرية فيهم أن يلحق بطاهو ليناقشه الحساب فتحول نزيتا دون رغبته فيعود إليها وهو يقول)

المشهد الرابع

نزيتا . رئيس الحراس .

رئيس الحراس : لقد بعثتني الآلهة لكي أنقذك من شرّ هذا اللعين .

نزيتا : شكرًا لك يا سيّدي وألف شكر .

رئيس الحراس : هل نالكِ بأذًى . أخبرني حتى آتيكِ برأسه وأطرحَهُ تحتَ موطِئ قدميْكِ .

نزيتا : أمثلي تصغي إلى مطارحاتِ أمثاله .

رئيس الحراس : لا ريْبَ في ذلك فلي في فؤادكِ المنزلةُ الرّفيعة . أليس كذلك يا نزيتا .

نزيتا : قلتُ لكَ غيرَ مرّةٍ إنّني أجلُّك كلَّ الإجلال .

رئيس الحراس : هل يُغذّي فؤادي إجلالُكِ إياي . إنّي لأَصْبُو إلى شيء غير الإجلال وهو أن تشاركيني في هواي

وتقبليني زوجاً لك .

نزيتا : أَمِثْلُكَ حارساً شجاعاً يتكلم عن الحبّ والزّواج والبلادُ في حربٍ مستعرةِ اللهَب .

رئيس الحراس : ما كانت هذه الحربُ لتحولَ دونَ شواغلِ الفؤاد . لو أنَّها حربٌ ضروسٌ تشتبكُ فيها السُّيوفُ وتتعانقُ الأَسِنَّةُ لفهمتُ مرادَكِ . ولكن نحنُ في قلاعِنا أَمنعُ من العُقبان . وهؤلاء المصريُّون لن يَصِلوا إلينا ولو تعلَّقوا بحبالِ الهواء .

نزيتا : هل هذه القلاعُ من المناعةِ بحيثُ تقول .

رئيس الحراس : جبالٌ شامخةٌ تناطحُ السَّحاب حُصِّنتْ منافذها بأفتك مُعَدَّات الدَّمار وقامت في وسط بحرٍ لجيّ فكيف تريدين أن يَصِلَ إلينا هؤلاء المجانين .

نزيتا : من يدري فللزَّمانِ مفاجآت لا يعلمُ بها غيرُ السَّحَرَة .

رئيس الحراس : لا يا سيدتي . فما دُمْتُ أنا موكَّلًا بالحراسة فكوني واثقةً بأنَّ هذا الجيشَ المرابطَ على بُعْدٍ منّا لن يستطيعَ الوصولَ إلينا .

نزيتا : إنك لذو شأنٍ في هذه القلاع .

رئيس الحراس : (تأخذه الخيلاء) أنا كل شيء . . . أنا حامي هذه الحصون وحارسُ بابها الكبير . أيُرْضيكِ هذا المَنْصِبُ فتقبليني زوجاً لك .

نزيتا : أنا كثيرةُ المطامع فهل أنتَ أهلٌ لأن تحقّقَ مطامعي .

رئيس الحراس : أحقّق لك كلَّ ما تبتغين .

نزيتا : كلَّ ما أبتغي .

رئيس الحراس : أجلْ كلَّ ما تبتغين ولو أدَّى بي ذلك إلى سَفْكِ دمي .

نزيتا : هَبْني دعوتُكَ إلى هِجْرانِ هذهِ القلاع .

رئيس الحراس : أَهْجُرُها متى وضعت الحربُ أوزارَها .

نزيتا : هَبْني طلبتَ منك . . .

رئيس الحراس : طلبتِ ماذا .

نزيتا : برهاناً على حبّك إياي .

رئيس الحراس : أُطْلُبي أيّ برهانٍ شئت .

نزيتا : إذا كنتَ صادقاً في هواك فافتحْ للعدوّ بابَ القلعة الكبيرة إذا هجم علينا .

رئيس الحراس : (في غضب شديد) ماذا تقولين . أتعبثين بشرفي العسكريّ . أتدفعينني إلى خيانةِ الوطن . لو لم تكوني . . .

نزيتا : (مقاطعة) أَعْظِمْ بك من رجلٍ شُجاع . باركَ سوتيخ فيك . ما أردتُ إلا أن أسبُرَ غوْرَك . أمّا وقد وقفتُ على شجاعتِك ووطنيّتك فقد مالتْ نفسي إليك .

رئيس الحراس : (متهللا) أصحيحٌ ما تقولين .

نزيتا : أمرتابٌ أنتَ من ذلك .

رئيس الحراس : شكرًا للآلهة فقد طلع كوكبُ سعادتي (إلى نزيتا) أنا مضطرٌّ يا عزيزتي أن أعودَ إلى موقفي أزوّدُ جنودي بالأوامر . وغدًا . . .

نزيتا : غدًا نفاجئُ الملكَ والحاشيةَ مفاجأةً . . .

رئيس الحراس : لطيفةً سارَّة .

نزيتا : أجل . لطيفةً سارَّة .

(يخرج فتودعه متحببة إليه ثم تلتفت فترى طاهو)

المشهد الخامس

نزيتا . طاهو .

نزيتا : ماذا رجعتَ تعملُ هنا .

طاهو : رجعتُ أهنّئك بعشيقِك .

نزيتا : إذا كان هذا ما رجعتَ لأجله فأطلبُ إليك أن تعودَ من حيثُ أتيت .

طاهو : لا أعودُ إلا بعدَ أن تعاهديني على الزَّواج .

نزيتا : تطلبُ المُحال .

طاهو : إذن أكشف أمركِ .

نزيتا : أيطاوعُكَ أن تكونَ السَّببَ في هلاكي .

طاهو : لَأَنْ أراكِ مُضَرَّجةً بدمِكِ خيرٌ من أن أراكِ مُتْعَةً لغيري .

نزيتا : يا لكَ من خائنٍ قاسي القلب . بل يا لكَ من وحشٍ مفترس .

طاهو : أمَّا الخيانةُ فأمْرُها هيّن . وأمَّا أنّي وحشٌ مفترس ففي قُدْرَتِكِ أن تجعلي من هذا الوحشِ الضّاري حَمَلاً وديعاً يأتمرُ بأمرِكِ وينتهي بنَهْيِك .

نزيتا : هل بلغ بك الجنونُ إلى الظّنِّ أنّي أكونُ امرأةَ

رجل خانَ بلادَه .

طاهو : زيَّنَ لي الخيانةَ حبُّ الانتقام .

نزيتا : ألم تكن صنيعةَ الأعداء . ألم تكن وأنتَ في مَنْصِبكَ بالقصر أُذناً لهم وعَيْناً .

طاهو : كلّا وحقِّ أمون وإنّما هي مظنّةٌ أخذني بها الوزير فرباس وأنا منها بَراء .

نزيتا : ألم تفِرَّ إلى أهل النّوبةِ . ألم توغِرْ صدورَ أهلِها وتدفعْهُمْ إلى التَّمَرُّدِ والعِصْيان .

طاهو : أكنتِ تريدينني أن أقدّمَ عنقي للجلّاد وأنا بريءٌ مما اتُّهمتُ به .

نزيتا : ألم تُعِدِ الكَرَّةَ بعد أن استتبَّ الأمنُ في النّوبة سنوات فاضطرَّ مليكُنا أحمس أن يتركَ ساحةَ الحرب ليقضيَ هو نفسُهُ على ثورةِ النّوبة فحملك الجبنُ إلى الفِرارِ والعودةِ إلى الأعداء . فممّن تريدُ

إذن الانتقام .

طاهو : من كلِّ مَنْ سَعَى في ضرري وإيذائي . ألم يَبْلُغْكِ أن الوزير فرباس قد حاكمني محاكمةَ الغائبِ فصادَرَ أموالي وأملاكي ودَمَغَني بتُهْمَةِ الخيانة وكلُّ ذَنْبي أني خشيتُ الأعاصير فآثرتُ الهرب .

نزيتا : هلَّا ثاب إليكَ رُشْدك وكفّرتَ عن جرائمِك وعدتَ إلى بلادِك فالوطنُ في حاجةٍ إلى الرّجال .

طاهو : هيهات .

نزيتا : أَما في صدرِك ضميرٌ يوبّخك . ألا يرقُّ قلبُك لتلك الدّماءِ التي تُراقُ هَدْرًا من دماءِ إخوانِك وَبني جِلْدَتِك .

طاهو : سيّان عندي ذلك .

نزيتا : فَكِّرْ في أنَّ رُوحَك سيَمْثُلُ يومًا لدى محكمة أوزيريس يحاكمك اثنان وأربعون قاضيًا .

طاهو : أعرفُ ذلك فما كنتُ لأخشى تلك المحكمة وأنا لم أسرقْ خبزَ المعابد. ولم أنتهكْ حرمةَ جثثِ الموتى. ولم أبعِ القمحَ بثمنٍ باهظ. ولم أقتنصْ طيورَ الآلهة. ولم أقطع قناةً في ممرّها. فكم أطعمتُ الجياعَ. وسقيتُ العِطاشَ. وكسوتُ العُراة. واويتُ الأغراب.

نزيتا : كلُّ هذا يَضيعُ في جانبِ ما اقترفتَ من خيانة الوطن. ألا تخشى أن يستوليَ أحمس على هذه القِلاعِ فيعامِلَكَ معاملةَ الخوَنة. يُذِلُّ قدرَكَ ويُذيقُك ألوانَ العَذاب قبل التنكيلِ بك.

طاهو : لن يَظفَرَ بي حيًّا أُرزق. لئن استطاعَ إخمادَ ثورةِ النّوبة أوّلًا وثانياً بعد إذْ أشعلتُ نارها إنّه لن يستطيعَ اقتحامَ هذه القِلاع. وهَبيهِ استطاع فسأكونُ على رأسِ الحامية أحاربُهُ حتى أسقطَ صريعاً.

نزيتا : ظننتُ الشَّجاعةَ هجرتْكَ لما هجرتَ الوطن .

طاهو : لا . فأنا ما خُنْتُ الوطن إلا لما أصابني من الظلمِ والجوْرِ فيه فأردتُ أن أثأرَ لنفسي وأُرْوِي غليلي المضطرمَ بنارِ الحقدِ :

نزيتا : أتنتقمُ من وطنٍ برمّتهِ لإساءةٍ لحقتك من فرد .

طاهو : إنَّ حبَّ الانتقام يصلُ بالمرءِ إلى أبعدِ مَدَى الخيانات .

نزيتا : إذا كان قلبُكَ قد أُشْرِبَ حبَّ الانتقام فانتقمْ لوطنٍ من أوباشٍ هتكوا ستْرَهُ وسَبَوْا نساءَهُ واستحلُّوا حَرامَه . أَين أبوك . أين أخوك . أَما عاشا عبدين ذليلين عند حاكمٍ من هؤلاء الأوغاد . أَين أُختُكَ أما كانت أَمَةً عند حاكمٍ ممفيس . لمثل هذا فليكُن الانتقام .

طاهو : (يفكر)

نزيتا : عُدْ إلى نفسِكَ تعلمْ شناعةَ الجريرةِ التي اجترحْتَها .
فلسوفَ تعيشُ ما عِشْتَ وأشباحُ الضّحايا ماثلةٌ
لعينيكَ تستصرخُ من جَوْرِ الْخَوَنة . إذا مشيتَ
رأيتَ كلَّ شيءٍ مصبوغاً بدم إخوانِك الشُّهداء .
إذا رقدتَ صحوت مذعورًا على أصواتِ الموتى من
بني جِلْدَتِك تناديك يا قاتل . إذا استسلمتَ إلى
الأفراحِ فسوف ترى الخمرَ التي تشربُها ممزوجةً
بدماءِ الشّهداء فيساوِرُكَ النّـــدم ولاتَ ساعةَ
مَنْدَمٍ .

طاهو : كفى . كفى . إنَّكِ تُحيينَ فيَّ قلباً كنتُ ظننتُهُ ماتَ
إلى الأبد .

نزيتا : لا . فإنَّ من أَنْبَتَتْهُ مِصْر وأَرْوَاهُ النّيلُ لا يكونُ
خائناً . فامضِ إذن إلى القتال وكفِّرْ عن جرمِك
واعمل وإخوانك على أن ترجِعَ للشّعب حرّيته

وترفع للوطن هامته وحينئذ تمحو الجريمةَ وتغسلُ العار .

طاهو : قلتُ لكِ إنك أيقظتِ فيَّ ميّتَ الوجدان . أرى شناعةَ ما فعلت . أرى تلك الدّماءَ تسيلُ تحت قدَميَّ . تتلوّثُ بها ثيابي . تتلطَّخُ بها يدي . تمتزجُ بكأسِ الماء التي أشربُها . آه . ما أشقاني . ما الذي جئتُ أعملهُ عندكِ . ما الذي أتى بي إليكِ ثانياً .

نزيتا : الوطن .

طاهو : سحقاً لي من شقيّ .

نزيتا : لا تجعلِ اليأس يتسرَّبُ إلى قلبك فما زالَ عندكَ متَّسعٌ من الوقتِ لكي تكفّرَ عمّا ارتكبت .

طاهو : لم يبقَ لي إلا أن أموتَ بعد إذ عرّضتِني لتبكيت الضمير .

نزيتا : إذا شئتَ كفَّرتَ عمّا سلفَ منك .

طاهو : وكيف السّبيلُ إلى ذلك .

نزيتا : إنّ مليكنا أحمس سيَهْجُمُ الليلةَ على هـذه القلاع فافتحْ له بابَ الحصنِ الـكبير .

طاهو : والحارس .

نزيتا : رَاوِغْهُ وإن لم تقدرْ فاقتُلْهُ فإذا فعلتَ ذلك كفّرتَ عن جريمتِكَ وكنتُ أنا لك .

طاهو : تكونين لي .

نزيتا : أجل . أقسمُ وأمون .

طاهو : إذنْ تريْ كيف أكفّرُ عن جرمي . سأقتله .

نزيتا : اُقتُـلْهُ (تلتفت فترى بعض القادمين فتقول لطاهو) **اذهب** .

(يبقى متردداً يريد أن يكلمها فتتركه وتعود إلى وسط المسرح فيخرج هو وتلتقي هي بالقادم فيقول لها) **أأنت هنا** .

نزيتا : وهل ما يدعو إلى الدّهْشةِ والاستغراب . (تخرج)

المشهد السادس

ساتان . بيان .

ساتان : ما لك تستبقُ الْخُطَى إلى هذا المكان . أما كانَ الأولى بنا ونحن من أكابر القُوّاد أن نصحبَ الملكَ فنظفرَ بالشّرف الأثير في مرافقةِ ركابه .

بيان : أتظنُّهُ يهتمُّ بمن يرافقُهُ أو لا يرافقُهُ . فهو منذُ زمنٍ ثائرُ الأعصاب لا يشغَلُهُ سوى مجالسِ اللّهوِ والطرب .

ساتان : كيفما كان الأمر فما ضرَّنا لو تريَّثْنا قليلًا . ثم مالي أراكَ متحاملًا عليه وهو الذي رفعنا إلى هذه المنزلةِ الرفيعة .

بيان : من داهَنَ الملك فقد أضلَّه . ولا أريد أن أكون ذلكَ الرجل . فما معنى هذه المآدبِ الصاخبة والليالي

السَّاهرة التي يُصِرُّ على إقامتها . هل انتصرنا على الأعداء .

ساتان : كيف لا وقد دُحروا ثلاث مرّاتٍ ولم يقدروا أن يفتحوا ثغرةً واحدة في هذه القِلاع المنيعة .

بيان : كان علينا أن ننزلَ من حصونِنا ونحاربَ هؤلاءِ المحاصرين ونردَّهم على أعقابِهم .

ساتان : ماذا يضيرُك أن تكونَ في عِدادِ حاشيةِ الملك وفي مجلسِ لهوهِ وشرابِهِ تكرعُ خمر ممفيس المعتّقة . وتأكلُ الطعامَ الشهيّ . وتتمتّعُ بمشاهدةِ أسرابِ الغواني الحِسان .

بيان : أهكذا تكون الوطنيّة يا ساتان . يلوحُ لي أننا على طَرَفَيْ نقيض فدَعْنا من هذا فعندي ما أُسِرُّهُ إليك .

حاجب : (يدخل) سيّديَّ وصل جلالة الملك إلى القاعة الكبرى .

ساتان : حسن . هيّا لمرافقة ركابه (يخرج الحاجب) .

بيان : قلت لك عندي ما أُسرُّهُ إليك .

ساتان : وما هو .

بيان : إنّي أتوقَّعُ اقترافَ جريمةٍ في هذا الحصن .

ساتان : دعْ عنك الأوهام .

بيان : لا إخالُها أوهاماً فإنّي عندما دخلتُ إلى هذا المكان
رأيتُ نزيتا الحسناء تخاطبُ طاهو بلهجةِ جدّ وقد
سمعتُ آخرَ كلمةٍ نطقتْ بها وهي اقتُلْهُ .

ساتان : ما أكثرَ وساوسَك . لقد زيَّنَ لك الوهمُ أن تسمعَ
حديثَ غرامٍ فتحسبهُ حديثَ مؤامرةٍ على قتل .

بيان : ما أحسبُ أذني خانتني فقد لمحتُ في عينيها بريقاً
خاطفاً .

ساتان : في عيني كل امرأة حسناء مثلُ هذا البريق . . .
ومن ذا الذي تظنُّ أنهما يتآمران على قتله .

بيان : هذا ما لا أعلمه .

ساتان : إن طاهو أشدُّ إخلاصاً للملك منّي ومنك .

بيان : قلبي لا يميلُ إلى هـذا الرَّجل فإنَّ من خانَ بلادَهُ لا يُحجمُ عن أَن يخونَ عدوَّه .

ساتان : ما لي أراكَ لا تتحدَّثُ إلّا عن الجريمة والخيانة . بل مالي أراك على مِثْل هذه الأفكار السُّود . إن قلبَ الإنسان هو العيْنانِ اللّتان يُبْصِر بهما الناسَ والأشياءَ . فإن كان . . .

بيان : (مقاطعاً) : فإن كان ماذا . . .

ساتان : فإن كان مستودَعاً للغبطةِ والفرح والمسرَّة رأى الدُّنيا موشَّحةً بغلالةٍ من الورد . كلُّ ما فيها جميل . وكلُّ مَنْ فيها شريفٌ مستقيم فما عليــه إلا أن يقطف ثمر الودّ والبهجة من شجرةِ الحياة . أَمَّا إن كان ذلك القلب . .

بيان : (مقاطعاً) : إن كان ماذا . . .

ساتان : أمّا إن كان مستودَعاً للخواطر الحالكة ولليأس والشُّؤم والوسواس رأى الدُّنيا مجلَّلةً بسودِ الثياب . كلُّ ما فيها قبيح . وكلُّ مَنْ فيها مجرمٌ أثيم . فالجرائم والكوارث وراءَ كلِّ ما تتناوله يَدُه أو تسمعه أُذُنه أو تشاهده عَيْناه .

بيان : لستُ يا ساتان ذلك الرَّجلَ الذي تَصِفُه . وإنَّما أنا رجلٌ أعطته الآلهة عينين ليرى . وأذنينِ ليسمع . ولساناً ليتكلَّم . وما تعوَّدتُ أَن أخادعَ نفسي فأرى الأسودَ فأُوهمها أَنه أَبيض وأَسمع الكلام الهُجْرَ فأؤكّد لها أَنّه رقيقٌ عَذْب .

ساتان : وترى النَّاسَ فتحسَبُهم . . .

بيان : (مقاطعاً) : لا أحسَبُهُمْ غيرَ ما أراهم عليه . فبَصَري وإحساسي كفيلانِ بأن لا يحِيدا بي عن صوابٍ

الرَّأْيِ وسَدادِ الْحُكْمِ .

ساتان : مِثالُ ذلكَ أَنكَ ترى فتاةً حسناء فتحسَبُها روحاً من أرواحِ الشَّرّ . . . وتسمعها تحدِّثُ بعضَ عُشَّاقها فتتصوَّر أنها مؤامرةٌ على اقترافِ جريمةٍ كما قلتُ لكَ منذ قليل .

بيان : لا إخالني على ضَلالٍ يا عزيزي ساتان .

ساتان : ومثالُ ذلكَ أَيضاً أَنكَ ترى رجلاً هرب من وطنه لسببٍ من الأسباب . وانْضَمَّ إلى أَعداء بلاده يخدمهم وفيّاً صادِقاً مخلصاً . فتأبى إلّا أَنْ تراه متمرّغاً في حَمآتِ الغَدْرِ والخيانة ينتقلُ من خيانةٍ إلى أُخرى كأنه يَقْتاتُ بالإثْم ويتنفَّسُ بالإجْرام ...

بيان : ما أَقْرَبَنا مودَّةً يا عزيزي ساتان وما أَبْعَدَنا رأياً وفكراً وخواطر .

ساتان : كُلَّما أَمْعَنَ المرءُ في التَّفْكير وقلَّبَ الرأْيَ في

ظواهر الأشياء وخوافيها أَضاع فرصةً من فُرَصِ المَرَح والسّرور . ولـكن ما لنا نتبادلُ الحِـكَم مُفْتَئِتين على الـكُهّان والسَّحَرة . ونترك الاستمتاعَ بمباهِجِ الحياة وما هي بالقليلة في هذهِ القِلاعِ وفي ظِلالِ الملك . . .

من الخارج : جلالة الملك . . . (يسمعان ضجة ووقع أقدام)

ساتان : (مستأنفاً) لقد جاء الملك وبطانته قبل أَن نخرج إلى لقائه فلنستعدَّ لمقابلتِهِ . وحذارِ أَن تفوه في حضرته بشيء من حكمتك السوداء .

(يدخل بعض القواد ثم تمضي دقائق قليلة فيدخل الملك أبوفيس ضاحكاً وإلى يساره قائد يسر إليه بعض الكلمات)

المشهد السابع

الملك وبطانته . ساتان . بيان .

الملك : ها ها طابتْ ليلتكم أَيها الأبطالُ الشّجعان

(إلى مخاطبه) وهكذا لاذ العدو بالفِرار حرصاً على فلولِ جيشه المندحر .

القائد : أجل يا مولاي .

الملك : (يجلس) اجلسو أيها القواد العِظام . وتعالَوْا شاطروني أفراحَ هذا الاجتماع (يجلسون ثم يوجه الكلام إلى بيان) كيف حالُ كتيبتك يا بيان أَلا يزالُ لك المقامُ الأول في أَعين جنودِك .

بيان : أَنا وجنودي وجميع كتائب الجيش فدى الملك .

الملك : (يقهقه ضاحكاً) هذا كلامٌ بليغ (يقول لساتان) ما قولُكَ في هذا الكلام .

ساتان : هو الحقيقةُ بعينها .

الملك : املأوا الكؤوسَ واشرَبُوها على ذكرِ انتصارِنا (الجميع يشربون)

ساتان : (متهكماً) نشربُ هذه الكأس في سِرِّ أَولئك

المجانين الذين يفكّرون في افتتاحِ هذه القلاع .

(قهقهة وضحك)

الملك : ألم يُوَلُّوا الأدبار .

بيان : لا يا مولاي . . . .

ساتان : (مقاطعاً) نعم يا مولاي . ولا أظنُّهم الآن إلّا في طريقهم إلى ممفيس . فإذا انتهينا من هذا الحفْلِ وأَمَرْتَنا تعقَّبْنا أثرَهم حتى طيبة .

الملك : إنّك عالم كبيرٌ بأسرارِ الحربِ والفنونِ العسكرية . ويومَ أدخلُ طيبةَ منتصرًا سأغمرُكَ بالنّعمِ والهدايا . (للجميع) اشربوها معي على شرفِ انتصارِنا المقبل .

(الجميع يشربون)

الملك : (إلى بيان) أَما زلتَ مُصرًّا على عنادِكَ وتشاؤمك يا بيان . ها نحنُ أُولاءِ قد انتَصَرْنا على العدو فماذا تقولُ الآن .

بيان : إنني يا مولاي . . .

الملك : لا تخشَ بأساً . فما أنا من ينكرُ عليك شجاعتَك وحسنَ بَلائِك . . . لقد عيَّنتُك حاكماً على ممفيس . . . ها ها ها . . . ولكن أين طاهو إني لا أراه بيننا .

ساتان : سيأْتي عما قريبٍ يا مولاي .

بيان : أتدرى أين هو فتجزمَ بقربِ مجيئه .

ساتان : لا أظنُّه يتخلَّفُ عن وليمةٍ دعانا إليها مولانا الملك .

الملك : نعم لا بُدَّ أن يأْتيَ قريباً . (لبعضهم) كيف ترى هذه الخمر .

بعضهم : تفتحُ الشّهوة .

الملك : كلوا واشْرَبوا وسابِقُوا ملككم في الفَتْكِ بهذا الشِّواء . (ما يكون على المائدة)

بعضهم : نفتكُ به كما فتكنا بهؤلاءِ المصريّين .

الملك : مَرْحَى أَيُّهـا القائدُ الشُّجاع (للجميع) املأوا الكؤوس . (الجميع يشربون)

بعضهم : أَحبِبْ بهذه الخمرِ المعتّقةِ فما أَظنُّ سُلافةً على وجه الأرض تُعادِلُها مَذاقاً . كأنّي بها عُتِّقَتْ من عهد سَلاتِس[1] .

ساتان : ما أَلَذَّ نشوةَ السُّكْر مع نشوةِ النَّصْر .

الملك : أَيُّهما تفضّل .

ساتان : كلاهما يثيرُ الهِمَم وينفخُ الأوداج ويعلو بالمرء إلى مَصافِ الأبطال .

قائد : في صحَّةِ جلالةِ الملك . (مترنحاً من شدة السكر)

الجميع : (يشربون إلا بيان)

الملك : تقولون رجع جيشُ العدو إلى ما وراء هذه الحصون . (يضحك)

---

(١) أول ملوك الرعاة .

ساتان : نعم يا مولاي إنه يرجِعُ القَهْقَرَى لا يلوي على شيء .

الملك : حَسَن حَسَن . (يهتز مسروراً) املأوا الكؤوس واشربوا . ما بالكم متباطئين . (الجميع يشربون إلا بيان)

الملك : ما لكَ يا بيان أَحجمتَ عن الشّراب .

بيان : ليس لي فيها يا مولاي كبيرُ رغبة فإننا نبعثُ بها إلى الجوف فتذهب إلى الرأس . (ضحك)

بعضهم : كأني إذ أَشربُها أَشربُ من دمِ الأعداء .

ساتان : إذا كان دمُ الأعداء لذيذاً طعمُهُ مثل هذه الخمر فإني أقترحُ أن نذبحهم على بَكْرةِ أبيهم .

بعضهم : ونستسلم إلى ولائمَ موصولةِ الأسباب .

الملك : اطمئنُّوا بالاً فما دام النّصرُ حليفَنا فلن نقطعَ عنكم الولائمَ والمآدب . (الجميع) عاش الملك .

الملك : أَلا ترون وليمتَنا ينقصُها شيء حتى تكونَ على أَتمّ

رونقٍ وصَفاء .

ساتان : حَرَسَتْكَ الآلهةُ يا مولاي أتكونُ بيننا وينقصَ اجتماعَنا شيء . إننا لن نَظْفَرَ باجتماعٍ مثلِ هذا ولو في العالمِ الآخر .

الملك : (يأخذه السرور) أعرفُ ذلك . نعم أعرفُ ذلك . ولكن . . . يا غلام .

الحاجب : لبّيك يا مولاي .

الملك : علينا بالرّاقصات .

الحاجب : سمعاً وطاعة . (يخرج)

ساتان : حرستِ الآلهةُ مليكَنا الهُمام فهو لا يألو جهدًا في أَن يَسُرَّ عبيـدَه المخلصين . (تدخل الراقصات فيرقصن وذزيتا بينهن . الجميع وقد أخذتهم نشوة الخمر يحملقون بالراقصات)

الملك : (لساتان) هذا ما ينقصنا أَيُّهـا الغبيّ . اشربوا . (يقولها بغضب)

قائد : في صحّة غواني أفاريس الحسان .

الملك : بل في صحّة نساءِ العالم طرًّا .

ساتان : (لبيان) أيّهن أجمل .

سامع : كلهنّ جميلات . فوحقّ سوتيخ لا أدري أيّهنّ أجمل .

ساتان : (لبيان) انظرْ هذه . لا شكّ إنّها أجملُهن . انظر إلى مِعْصَمَيْها .

سامع : يا ليتني مطوّقٌ بهما .

الملك : (سكران قليلا) سأُكرِمُكنّ إكراماً ما حلمتنّ بمثله حتى لا تقلْنَ إن الملك أپوفيس لا يَقْدُرُ الجمال .

ساتان : لو سمح لي مولاي الملك أخبرتُه بشيءٍ يتمُّ أُنْسَ هذا المهرجان .

الملك : قل .

ساتان : نظم الشاعر « زيريس » نشيدًا لطيفاً وعلّمَهُ هؤلاءِ الحسان فلو غنّينَهُ بحضرتك .



الملك : لا بأسَ. نسمع الغناء. إنّك تُهيبُ بي إلى أن أجرّبَ صوتي في هذا الحفل.

ساتان : هنالك الفرحُ الأكبر.

الملك : أحقيقٌ ما تقول.

ساتان : اسأل غيري.

الملك : نسمع النشيد. هيّا يا حسان. (الراقصات ينشدن النشيد التالي)

يَهْنيكَ يَا رَبَّ الدِّيَار نَصْرٌ كَسَبْتَ بِهِ ٱلفَخَارْ
لَاذَ ٱلْأَعَادِي بِالْفِرَارْ لَمْ يُجْدِهِمْ طُولُ ٱلسَّهَرْ
قُومُوا إِلَى ٱلْخَمْرِ وَأَفْرِغُوا ٱلْقَدَحْ
نَحْنُ عَلَى ٱلنَّصْرِ طَابَ لَنَا ٱلْفَرَحْ

* * *

(قائد وقد بلغ به السكر مبلغه يرقص ويعيد قول الراقصات «قوموا إلى الخمر» ثم يشرب كأساً)

شَخَصُوا إِلَيْنَا بِالْعُيُونْ مِنْ تَحْتِ أَسْوَارِ ٱلْحُصُونْ
فَكَأَنَّنَا ٱلسِّرُّ ٱلْمَصُونْ مَا بَيْنَ أَعْطَافِ ٱلْقَدَرْ

قَومُــوا إلَى ٱلْخَمْرِ وَأَفرِغُوا ٱلْقَــدَحْ
نَحْنُ عَلَى ٱلنَّصْرِ طَابَ لَنَا ٱلْفرَحْ

* * *

(القائد يعيد الكرة)

يَئِسُوا وَمَا نَالُوا ٱلْمُنَى بَقِيَتْ أَقَارِيسٌ لَنَا
لَمْ يَكْسِبُوا غَيْرَ ٱلْعَنَى وَٱلْمَوْتِ رَجْماً بِٱلْحَجَرْ
قُومُوا إِلَى ٱلخَمْرِ وَأَفْرِغُوا ٱلْقَدَحْ
نَحْنُ عَلَى النَّصْرِ طَابَ لَنَا ٱلْفرَحْ

* * *

لَوْ أَنَّهُمْ جَازُوا ٱلْمِيَاهْ لَذَبَحْتَهُمْ ذَبْحَ ٱلشِّيَاهْ
أَعْظِمْ بِسُوتِيخَ ٱلْإِلٰهْ أَنْ لاَ يَقُودَكَ لِلظَّفَرْ
قُومُوا إِلَى ٱلْخَمْرِ وَأَفْرِغُوا ٱلْقَدَحْ
نَحْنُ عَلَى النَّصْرِ طَابَ لَنَا ٱلْفرَحْ

الملك : (متلعثما)

أَيَّتُها الِحسان . لقد جلَبْتُنَّ لأفئدتِنا السّرور بأصواتكنّ الرّخيمة . غدًا توزِّعُ عليكنَّ الهدايا والحِلْقان الذهبيّة .

الراقصات : عاش الملك (يسمع ضجة في الخارج يفهم منها ما يأتي)

دعني أدخل .

لا يمكن .

ويحك دعني أدخل .

لا يدخل أحد على الملك في مجلس أُنْسِه .

الملك : ما هذه الضَّجَّة . من ذا الذي يجسرُ أن يعكّر علينا صفاء مجلسنا .

(يقتحم الباب جندي ويجري وراءه الحاجب منتهراً)

الملك : (في شدة) ما هذا . (الجميع واجمون)

الجندي : مولاي عفوًا لقد هاجَمَنا الأعداء .

الجميع : (باضطراب وجزع) الأعداء .

الجندي : هجموا علينا من باب الحصن الكبير

الملك : وحارس الحصن وكتيبته ماذا فعلوا .

الجندي : قُتِلَ الحارس يا مولاي .

الملك : وَيْحَكَ مَنْ قَتَلَه.

الجندي : قَتَلَهُ القائد طاهو يا مولاي . فقد أَمَرَهُ أن يفتحَ البابَ لنهجُمَ على العدوّ فداخلت الحارسَ الرِّيب فامتنع . فشدَّ عليه طاهو بسيفه فتوقّى الحارسُ الضَّرْبة ثم استَلَّ حُسَامَهُ وهجم به على طاهو .

الملك : (متشنجاً) ثم ماذا أيها الأبله . ثم ماذا . . . قل . . . أسرع . . .

الجندي : استمرَّ طاهو والحارس في مبارزةٍ دامية . وكنا نحن حُرَّاس الحصن في ذهولٍ شديد لا نعرفُ أنطيعُ أمرَ الحارس أم أمرَ طاهو . فهذا يأمرُنا بفتحِ الباب وذاك ينهانا عنه . وكانت الحجارةُ الضَّخمة تتساقطُ على الباب تساقُطَ المطر .

الملك : (مرتجفاً) ثم ماذا أيها الأحمق . . .

الجندي : شَدَّ طاهو شدَّتَهُ الأخيرة على الحارس فقتله . ثم

رأينا جماعة من العدوّ قد هبطتْ علينا من السَّماء فأخذتْنا على غِرّة واندفعتْ إلى الباب ففتحَتْهُ وتدفَّقَ منه جيشُ العدوّ وأعملَ فينا الطَّعْن والضَّرْب .

الملك : (في غضب) وطاهو . . .

الجندي : انضمَّ إلى صفوف الأعداء . ومشى في الطليعة يدلُّهُمْ على المسالك والشِّعاب . فأسرعتُ أنا أخبركم بالأمر يا مولاي .

الملك : (متشنجاً) دخل العدوّ القلعة وأنتم الذين ادّعيتم أن العدوّ ارْتَدَّ إلى ممفيس بل إلى طيبة . ساتان أيّها الأبله بل أيّها الخائن الماكر . (يهجم عليه ويخنقه) .

بيان : مولاي إن الوقتَ عصيب . . . فالعدوّ دَخَلَ القِلاع فليس لنا إلا الهرب مُكْرَهين . . .

الملك : أجل . الهرب . إني لا أريد أن أموت .

بيان : نهرُب من الباب السرّي الذي يُفضي إلى الصّحراء .
فمتى أمِنَّا على نفوسنا نظَّمنا صفوفنا واستأنفنا القتال

الملك : (مضطرباً) هيّا بنا (الجميع يستعدون للهرب. بعضهم صريع الخمر
لا يستطيع الوقوف)

بيان : مولاي بيننا مجرمٌ أثيم يجب أن نعاقبه قبل أن نهرُب.

الملك : ماذا تعني . قل أوجز .

بيان : لما دخلتُ هذا المكان رأيتُ هذه الخائنة (يشير إلى
نزيتا بين الراقصات) تحدّثُ طاهو وسمعتُها تقول له
اقْتُلْه. فلا ريب أنها هي التي أوعزت إلى طاهو بقتل
الحارس . ولا بدّ أن تكون هي وطاهو عيناً من
عيون الأعداء علينا .

الملك : وَيْحٌ للشَّقِيّ لقد أنزلته أعزّ موضع من نفسي
(إلى نزيتا) ماذا تقولين أيّتها النَّجِسَة . (يسمع من
بعيد أصوات الجنود وقعقعة سلاحهم ونشيدهم)

بعضهم : بَدَارِ . بَدَارِ . الفِرار . الفِرار .

الجميع : الفِرار .

الملك : يجب أن نعاقِبَ هذه الخائنة .

الجميع : تُقْتَل . تُقْتَل .

نزيتا : (يتملكها الرعب) هل تعتقدون أني أنا القاتلة حتى أُقْتَل

(الجلبة تقترب)

بعضهم : الفِرار .

بعضهم : تُقْتَل .

بيان : يجب أن تتجرّعي جزاء ما جنَتْهُ يداكِ يا أَصْلَ الشرّ والبلاء .

(الجلبة تقترب كثيراً حتى لكأنها وراء الباب)

الملك : الفِرار . (يهرب هو وبعض حاشيته . يهجم بيان على نزيتا والخنجر مجرد في يده ويهم بضربها)

نزيتا : (مرتعبة) إليّ يا أحمس . (يدخل أحمس فينقض على الضارب فيتراجع هذا ثم يمتلىء المسرح بقواد أحمس والجنود)

المشهد الثامن

نزيتا . أحمس . قواد أحمس . جنود . بعض الأسرى من الرعاة .

أحمس : شُلَّتْ يمينُك يا وَغْد (إلى نزيتا) شكرًا للآلهة على أنها بَعَثَتْني قبل أن يُغْمِدَ هذا الشِّرّير الأثيم خِنْجَرَهُ في صدركِ . لو أنه فعَلَ لوجبَ أن تحزنَ البلادُ بأسرها عليك أنت يا مَن كابدتِ ما كابدتِ من عذاب وتحمّلتِ ما تحمّلتِ مِن تضحية في سبيل الوطن . فمعاذ الآلهة أن يَنْسَى لكِ الوطن جهدكِ الأسنى وجهادكِ العظيم . ستعيشينَ في قصري عزيزةَ الجانب محاطة بالإكرام والإجلال . ولسوف تُغْدَقُ عليك الهدايا ويكونُ لكِ المقامُ الأوّلُ في البلاد . . .

نزيتا : (مقاطعة) ليهنِكَ هذا النّصرُ المجيد أيّها الملك الجليل .

ليهنكَ استقلالُ بلادِكَ على يديك. لتهنِكَ أختُكَ التي تترقّبُ عودتَكَ بفارغِ الصّبر. اِرْجع إليها. وفِّرْ لها أسبابَ الهناءة. كن لها الزّوجَ المخلص الأمين فهي أحقُّ منّي بك ... تذكّرْ يومَ عبثتَ بفؤادي . . . تذكّرْ يومَ اتّهمتني بالخيانة . . . تذكّرْ يومَ شئتَ أن تطرحني للوحوشِ والطير. أمّا مجالي العظمة ومظاهرُ المجد التي تُغرِيني بها فما كنتُ لآبهَ لها ما دمتَ لا تستطيعُ أن تهبَني قلبَك . (تضرب نفسها بخنجرها . يسرع أحمس فتقع بين يديه)

أحمس : نزيتا . نزيتا . (تستيقظ قليلا)

نزيتا : (همساً) أحمس . . . أحمس . . .

أحمس : أنا هو أحمس حبيبك .

نزيتا : (تفتح عينيها قليلا) أحمس اُعفُ عن طاهو فقد ندم .

أحمس : عفوتُ عنه فقد حاربَ في صفوفي حتى سقطَ قتيلًا .

نزيتا : (بصوت منخفض متقطع) اُذكرني يا أحمس . . . اُذكرْ أني أحببتُك إلى آخر رمقٍ من حياتي . . . أموتُ مرتاحةَ الصَّدْرِ قريرةَ العين . . . أموتُ بين يديْ حبيبي فدى وطني . (تنقلب ميتة)

أحمس : ويلاه . (يصمت مدة في ذهول)

ابن أبانا : ماتت شهيدةَ الهوى والوطن .

أحمس : (يستعيد جأشه فيخاطب القواد والجند)

أيُّها القُوّاد والجنود . إن هذه الفتاةَ التي آثرت الموتَ على الحياة هي نزيتا ابنةُ حابي رحمتهما الآلهة . إنها لمثالٌ يُحتذى في الوطنية والتضحية وإنكار الذات . خلِّدوا ذكراها وحيُّوا فيها إيزيس منقذةَ الوطن .

(يضرب النفير لحناً حزيناً فيركع الجميع مدة في صمت وحزن)

ستار

نفحات الودّ والتّذكار

لما فازت هذه الرواية بجائزة وزارة التربية والتعليم في المباراة التي عقدتها للتأليف المسرحي تفضل رهط من أصدقاء المؤلف وأحبابه فأقاموا له حفل تكريم زينه الخطباء والشعراء بآيات وسام من روائع البيان . وها نحن أولاء ننشر ما في أيدينا من نفحات ذلك التذكار الكريم مشفوعة بعرفان البر ونث الشكر .

ولقد كان بين فرائد الشعر الذي ألقي في تلك السوق الكريمة قصائد ثلاث نسج بردة كل منها المغفور له خليل مطران بلل الله ثراه والمغفور له الدكتور إبرهيم ناجي طيب الله ذكراه والأستاذ محمد مصطفى الماحي حياه الله ورعاه .

ونحن إذ نثبت في هذا المجال تلك الخرائد الثلاث ونردفها بالقصيدة التي شكرنا بها عطف الإخوان إنما نحرص على الإلمام بالأضواء والظلال استكمالا لصورة هذه الرواية وما انبثق حولها من فنون واستمتاعاً بنسمات الصبا وعبق الفضل والوداد .

قصيدة الخليل

يَفْسَحُ ٱلرَّاحِلُونَ لِلْقَادِمِينَا أَحْسَنَ ٱللهُ حَظَّكُمْ يَا بَنِينَا

اِحْفَظُوا غَيْبَنَا وَأَغْضُوا عَنِ ٱلتَّقْـ ـصِيرِ مِنَّا فِي شَوْطِنَا وَٱسْبِقُونَا

نَحْنُ لَمْ نَخْتَرِعْ جَدِيدَ ٱلْمَعَانِي وَغَلَوْنَا فِي لَفْظِهَا تَحْسِينَا

فَتَحَ ٱلْفَنُّ كُلَّ بَابٍ حَدِيثٍ وَعَلَى عَهْدِهِ ٱلْعَتِيقِ بَقِينَا

فَخُذُوا أَنْتُمُ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا أَعْـ ـطَى وَقُولُوا ٱلطَّرِيفَ قَوْلًا مُبِينَا

لُغَةُ ٱلضَّادِ لَا تَضِنُّ عَلَيْكُمْ إِنْ جَدَدْتُمْ بِكُلِّ مَا تَبْتَغُونَا

كُلَّ يَوْمٍ يُصِيبُ فِي مَنْجَمٍ مِنْـ ـهَا ٱلْأَدِيبُ ٱلْأَرِيبُ كَنْزًا دَفِينَا

أَخَذَ ٱلْغَرْبُ مِنْ مَغَاوِصِنَا ٱلدُّرَّ وَفِي صَوْغِهِ أَجَادَ ٱلْفُنُونَا

وَهْوَ يَأْبَى ٱلْجُمُودَ يَوْمًا فَمَا لِلـ ـشَّرْقِ لَا يَسْأَمُ ٱلْجُمُودَ قُرُونَا

فَكِّرُوا فَكِّرُوا مَلِيًّا مَلِيًّا وَٱسْتَقِلُّوا بِوَحْيِكُمْ رَاشِدِينَا

وَاسْتَمِدُّوا هُدَى سَجِيَّتِكُمْ وَٱتَّـ ـخِذُوهَا لَكُمْ نَصِيحًا أَمِينَا

فَإِذَا مَا أَنْشَأْتُمُ فَاْخْلُقُوا خَلْـــقاً تَـكُونُوا حَقِيقَـةً مُنْشِئِينَا
ذَاكَ ذَاكَ ٱلتَّجْدِيدُ لَا فِعْلُ مَنْ يَمْـــكُثُ فِي مَعْقِلِ ٱلْقَدِيمِ سَجِينَا
لا وَلَا خَلْطُ مَنْ إِلَى ٱلْفَضْلِ يَعْزُو خَلْطَهُ بِٱلْفَصَــاحَةِ ٱلتَّهْجِينَا

* * *

أَيُّهَا ٱلشَّاعِرُ ٱلْفَـتَى عِشْ وَزِدْنَا مُبْدِعَاتٍ عَلَى تَوَالِي ٱلسِّنِينَا
وَلْيَكُنْ فَوْزُكَ ٱلْعَتِيدُ لِمَا يَتْـــلُو مِنَ ٱلْفَوْزِ طَالِعــاً مَيْمُونَا
«أَحْمِسُ ٱلْأَوَّلُ» ٱبْتِدَاءٌ جَمِيلٌ أَطْرَبَ ٱلسَّامِعِينَ وَٱلنَّاظِرِينَا
سُقْتَ فِيهِ «طَرْدَ ٱلرُّعَاةِ» مَسَاقاً زَادَ جِيــدَ ٱلْبَيَانِ عِقْداً ثَمِينَا
وَبَعَثْتَ ٱلْأَشْخَاصَ بَعْثاً عَجِيباً وَسَبَكْتَ ٱلْأَغْرَاضَ سَبْكاً رَصِينَا
وَأَمَطْتَ ٱلْحِجَابَ عَنْ أَيِّ سِرٍّ كَانَ فِي مُهْجَةِ ٱلْفَخَارِ مَصُونَا
بَيْنَ نَثْرٍ لَا عَيْبَ فِيهِ وَشِعْرٍ مِثْلِ مَا تَشْتَهِي ٱلْمُنَى أَنْ يَكُونَا
كَلِمٌ مِنْ تَخَطُّفِ ٱلْبَرْقِ يَسْبِقْــــنَ إِلَى مَوْقِعِ ٱلْجَمَالِ ٱلظُّنُونَا
وَأَسَالِيبُ فِي ٱلرِّوَايَةِ يُحْدِثْــــنَ سُرُوراً وَقَدْ أَسَلْنَ ٱلشُّؤُونَا
وَحِوَارٌ يُبَلِّغُ ٱلْعِظَةَ ٱلْمُثْـــلَى مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ لِلْآخِرِينَــا
وَخِتَامٌ تَضَوَّعَ ٱلْمِسْكُ مِنْهُ بِعَبِيرٍ أَضَاعَهُ ٱلدَّهْرُ حِينــاً

قَدْ شَمَمْنَا لِحُبِّ « طِيبَةَ » فِيهِ نَفْحَ طِيبٍ أَذْكَى الْحَمِيَّةَ فِينَا
إِنْ تَكُنْ هٰذِهِ رِوَايَتَكَ الْأُو لَى فَمَا الظَّنُّ بِاللَّوَاتِي يَلِينَا

قصيدة ناجي

خَبِّرِينَا خَمَائِلَ النُّوَّارِ خَبِّرِينَا صَوَادِحَ الْأَطْيَارِ
خَبِّرِينَا نَوَاضِرَ الْآسِ إِذْ رَفَّ عَلَى خَدِّهِ النَّسِيمُ السَّارِي
عَانَقَتْهُ مَعَ الْأَصِيلِ الْغَوَادِي وَجَلَتْهُ كَصُورَةٍ فِي إِطَارِ
خَبِّرِينَا بِاللّٰهِ إِنْ قَصَّرَ اللَّفْظُ وَخَانَتْ رَوَائِعُ الْأَشْعَارِ
كَيْفَ يُجْزَى الْأَدِيبُ وَالْكَاتِبُ الْمَوْهُوبُ قَدْ بَاتَ قِبْلَةَ الْأَنْظَارِ
وَالصَّدِيقُ الْمَاضِي لِأَرْوَعِ أُفْقٍ وَالْمُجَلِّي السَّبَّاقُ فِي الْمِضْمَارِ

* * *

أَيُّهَا الْكَاتِبُ الَّذِي يَكْتُبُ التَّا رِيخَ صَوِّرْ تَارِيخَنَا مِنْ نَارِ
وَانْشُرِ الصَّفْحَةَ الْكَرِيمَةَ مَا لَوَّثَهَا مَرَّةً مِدَادُ الْعَارِ
إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَرْفُضُ الذُّلَّ وَتَأْبَى بَقَاءَهَا فِي الْإِسَارِ

كَمْ وَكَمْ حَلَّ أَرْضَنَا مِنْ نُسُورٍ دَخَلَتْهَا دَوَامِيَ ٱلْأَظْفَارِ
كُلُّ نَسْرٍ يَحُطُّ فِي شَكْلِ طَوْدٍ مُسْتَقِرٍّ مُهَيْمِنٍ جَبَّارِ
اِقْتَحَمْنَا جَلَالَهُ وَغَزَوْنَا وَدَكَكْنَا شَوَاهِقَ ٱلْأَسْوَارِ

* * *

إِنَّمَا «أَحْمِسُ» تُرَاثٌ مِنَ ٱلْمَجْـدِ وَدُنْيَا غَنِيَّةٌ بِٱلْفَخَارِ
هُوَ هَامٌ مُكَلَّلٌ بِٱلْمَعَالِي وَجَبِينٌ مُتَوَّجٌ بِٱلْغَارِ
هُوَ مِصْرٌ وَكُلُّ مَا فِي حَنَايَا مِصْرَ مِنْ عَزْمَةٍ وَمِنْ إِصْرَارِ
هُوَ مِصْرٌ وَكُلُّ مَا فِي خَفَايَا مِصْرَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ أَسْرَارِ
بَارَكَ ٱللهُ «عَادِلاً» بَعَثَ ٱلْمَا ضِيَ نُوراً يُضِيءُ لِلْأَبْصَارِ
فِي نِظَامٍ مِنَ ٱلْبَيَانِ بَدِيعٍ مُعْجِزٍ مِنْ خَوَارِقِ ٱلْأَفْكَارِ
عِظَةٌ وَهْوَ بِٱلْعِظَاتِ خَبِيرٌ سَمَرٌ وَهْوَ أَعْذَبُ ٱلسُّمَّارِ

* * *

يَا أَدِيبَ ٱلشَّبَابِ يَا مُرْسِلَ ٱلشِّعْـرِ قَوِيًّا كَزَاخِرِ ٱلتَّيَّارِ
فَائِضًا مِنْ خَوَاطِرٍ عَبْقَرِيَّا تٍ وَذِهْنٍ مُحَلِّقٍ فَوَّارِ
أَنَا عَنْ مَعْشَرِ ٱلشَّبَابِ أُهَنِّي وَأُحَيِّي تَحِيَّةَ ٱلْإِكْبَارِ

قصيدة الماحي

حَيُّوا بِأَكْرَمِ مَنْطِقٍ وَبَيَانِ   زَيْنَ ٱلشَّبَابِ وَنُخْبَةَ ٱلْفِتْيَانِ
عَرَفَ ٱلْقُضَاةُ لَهُ سُمُوَّ مَكَانِهِ   فَقَضَوْا لَهُ بِٱلسَّبْقِ فِي ٱلْمَيْدَانِ
لِلّٰهِ مَنْطِقُ «عَادِلٍ» فِي فَصْلِهِ   سِحْرُ ٱلْبَيَانِ وَقُوَّةُ ٱلْإِيمَانِ
أَدْنَى لَنَا تَارِيخَ عَهْدٍ قَدْ عَفَتْ   آثَارُهُ فَهُوَ ٱلْقَصِيُّ ٱلدَّانِي
وَجَلَا لَنَا وَجْهَ ٱلْحَقِيقَةِ عَنْ فَتًى   نُشِرَتْ مَحَاسِنُهُ مِنَ ٱلْأَكْفَانِ
أَوْلَى قَلَائِدِهِ يَتِيمَةُ عَصْرِهِ   وَلَهُ ٱلْغَدَاةَ يَتِيمَةُ ٱلْأَزْمَانِ

* * *

لِلّٰهِ «أَحْمَسُ» فِي جَلَالَةِ قَدْرِهِ   أَحْيَتْهُ خَاطِرَةٌ وَحُسْنُ بَيَانِ
مَلِكٌ نَمَاهُ ٱلْمَجْدُ وَٱجْتَمَعَتْ لَهُ   صُوَرُ ٱلْكَمَالِ وَعِزَّةُ ٱلتِّيجَانِ
عَرَضَ ٱلْجَمَالُ لَهُ وَطَافَ خَيَالُهُ   فِي رَوْضَةٍ مُلْتَفَّةِ ٱلْأَغْصَانِ
شَرِبَ ٱلْهَوَى فِيهَا نَمِيراً صَافِياً   مِنْ كَفِّ غَانِيَةٍ وَرَخْصِ بَنَانِ

وَرَأَى ٱلْحَيَاةَ بِغَيْرِ حُبٍّ نِقْمَةً … فَجَرَى لِغَايَتِهِ بِغَيْرِ عِنَانِ
وَتَنَازَعَتْهُ سَوْرَةُ ٱلْحُبِّ ٱلَّتِي … تُغْرِي ٱلشَّبَابَ بِفَاتِنِ ٱلْأَلْوَانِ
وَلَكَمْ أَدَالَ ٱلْحُبُّ مِنْ ذِي سَطْوَةٍ … وَلَكَمْ أَذَلَّ ٱلْحُبُّ مِنْ سُلْطَانِ
حَتَّى إِذَا مَلَكَ ٱلْغَرَامُ قِيَادَهُ … وَرَمَى بِهِ فِي لُجَّةِ ٱلْأَشْجَانِ
وَبَدَا لَهُ حُلْمُ ٱلْوِصَالِ حَقِيقَةً … يُرْوِي بِهَا مِنْ غُلَّةِ ٱللَّهْفَانِ
هَتَفَتْ بِهِ ٱلْأَوْطَانُ وَهْيَ رَوَاسِفٌ … فِي ٱلْقَيْدِ تَحْتَ صَوَارِمِ ٱلْفُرْسَانِ
أَلْقَوْا إِلَيْهِ زِمَامَهَا فِي مَوْقِفٍ … نَاءَتْ بِكَلْكَلِهِ قُوَى ٱلشُّجْعَانِ
دَخَلَ ٱلرُّعَاةُ عَلَى ٱلْأُسُودِ عَرِينَهَا … فِيهِ وَعَاثَتْ زُمْرَةُ ٱلطُّغْيَانِ
وَتَدَنَّسَتْ أَرْضُ ٱلْكِنَانَةِ وَٱرْتَوَتْ … فِي عَهْدِهِمْ بِٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ
فَتَجَاوَبَتْ أَصْدَاءُ مِصْرَ بِصَيْحَةٍ … كَٱلرَّعْدِ هَزَّتْ رَاسِخَ ٱلْبُنْيَانِ
يَا لِلْبِلَادِ مِنَ ٱلْعَدُوِّ يَسُومُهَا … خَسْفاً فَتَشْقَى بَعْدَ طُولِ أَمَانِ

* * *

فَتَبَدَّدَتْ أَحْلَامُ «أَحْمَسَ» وَٱنْقَضَى … مَا كَانَ يَرْقُبُ مِنْ شَهِيِّ أَمَانِي
نَاجَى فُؤَاداً قَسَّمَتْهُ يَدُ ٱلْهَوَى : … (يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ بِٱلسُّلُوِّ يَدَانِ)
وَطَنِي . هَوَايَ . تَنَازَعَا قَلْبِي فَمَا … رَثَيَا لَهُ وَهُمَا بِهِ سِيَّانِ

أَشَقُّ ٱلْفَوَارِسِ فَارِسٌ يَغْشَى ٱلْوَغَى ... وَفُؤَادُهُ يَوْمَ ٱلْوَغَى شَطْرَانِ
وَطَنِي . وَمَا وَطَنِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... أُسُّ ٱلْفَضَائِلِ نُصْرَةُ ٱلْأَوْطَانِ

* * *

فَٱسْتَلَّ مِنْ جَنْبَيْهِ قَلْبًا دَامِيًا ... جَمَّ ٱلْمَشَاغِلِ دَائِمَ ٱلْخَفَقَانِ
وَطَوَى بِسَاطَ ٱلْأُنْسِ لَمْ يَحْفِلْ بِمَا ... يَحْوِيهِ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رَيْحَانِ
قَادَ ٱلْكَتَائِبَ فِي رَبِيعِ حَيَاتِهِ ... لِلنَّصْرِ لَمْ يَرْهَبْ شَبَاةَ سِنَانِ
وَٱلنَّفْسُ إِنْ شُغِلَتْ بِحَمْلِ عَظِيمَةٍ ... فَازَتْ وَلَوْ أَنَّ ٱلْمُنَى ٱلْقَمَرَانِ

* * *

لَمْ يَشْهَدِ ٱلتَّارِيخُ أَرْوَعَ مَنْظَرًا ... مِنْ حَزْمِهِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ
وَقَدِ ٱدْلَهَمَّ ٱلْخَطْبُ وَٱغْتَرَّ ٱلْعِدَا ... بِعَتَادِهِ وَٱعْتَزَّ بِٱلْأَعْوَانِ
وَتَجَمَّعُوا فِي حِصْنِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ ... أَخَذُوا ٱلْأَمَانَ بِهِ مِنَ ٱلْحِدْثَانِ
بَيْنَا يُدَبِّرُ أَمْرَهُ مُتَلَهِّفًا ... لِلْحَرْبِ مِثْلَ تَلَهُّفِ ٱلظَّمْآنِ
طَلَعُوا عَلَيْهِ بِغَادَةٍ مَذْعُورَةٍ ... سَحَرَتْهُمُ بِجَمَالِهَا ٱلْفَتَّانِ
قَالُوا أَصَبْنَاهَا تَعُسُّ وَتَرْتَعِي ... فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلِّ مَكَانِ
هِيَ سِرُّ أَعْدَاءِ ٱلْبِلَادِ وَمَا نَرَى ... إِلَّا ٱلرَّدَى عُقْبَى ٱلْأَثِيمِ ٱلْجَانِي

فَٱرْتَاعَ «أَحْمِسُ» حِينَ شَاهَدَ وَجْهَهَا وَتَمَلَّكَتْهُ لَوْعَةُ ٱلْأَحْزَانِ
وَجَدَ ٱلَّتِي كَانَتْ نَعِيمَ حَيَاتِهِ قَدْ رَدَّهَا ٱلْخِذْلَانُ لِلْكُفْرَانِ
فَأَجَالَ نَاظِرَهُ بِحَسْرَةِ حَائِرٍ وَهُوَ ٱلَّذِي لَمْ يَخْشَ يَوْمَ طِعَانِ
وَهُوَ ٱلَّذِي رَاضَ ٱلْأُسُودَ وَرَدَّهَا صَرْعَى تُحَاذِرُ غَضْبَةَ ٱلْإِنْسَانِ
طَافَتْ بِهِ ٱلذِّكْرَى فَهَاجَتْ وَجْدَهُ وَٱلذِّكْرَيَاتُ مُثِيرَةُ ٱلْوِجْدَانِ
إِيهٍ «نِزِيتَا» مَا صَنَعْتِ وَمَا أَرَى بِعْتِ ٱلْبِلَادَ بِأَبْخَسِ ٱلْأَثْمَانِ
فَتَطَلَّعَتْ فِي عِزَّةٍ وَمَهَابَةٍ وَتَكَلَّمَتْ فِي رِقَّةٍ وَحَنَانِ
رُحْمَاكَ «أَحْمِسُ» لَسْتُ خَائِنَةً وَلَا بِي عَنْكَ مِنْ شُغْلٍ وَلَا نِسْيَانِ
إِنْ كَانَ حَظِّي فِي ٱلْهَوَى قَدْ خَانَنِي فَرَجَعْتُ مِنْهُ بِفَادِحِ ٱلْخُسْرَانِ
أَوْ كَانَ يَأْسِي فِي هَوَايَ أَذَلَّنِي يَوْمًا فَمَا زَلَّتْ بِيَ ٱلْقَدَمَانِ
لَسْتُ ٱبْنَةَ ٱلنِّيلِ ٱلْوَفِيِّ إِذَنْ وَلَا سَقَّى أَبِي مِنْ مَائِهِ وَسَقَانِي
إِنَّ ٱبْنَةَ ٱلنِّيلِ ٱلْأَبِيِّ أَبِيَّةٌ فِي ٱلْخَطْبِ لَا تَمْشِي بِقَلْبِ جَبَانِ
خُلِقَتْ كَمَا شَاءَ ٱلْكَمَالُ طَهَارَةً وَتُقًى وَإِخْلَاصًا وَصِدْقَ جَنَانِ
حَطَّمْتُ قَلْبِي حِينَ نَازَعَنِي إِلَى سُوءِ ٱلصَّنِيعِ وَلُذْتُ بِٱلْكِتْمَانِ
وَرَضِيتُ مِنْ دَهْرِي بِجَدٍّ عَاثِرٍ وَمُنًى مُحَطَّمَةٍ وَقَلْبٍ عَانِ

وَطَوَيْتُ حِينَ طَوَيْتُ عَهْدَ سَعَادَتِي ... نَفْسِي عَلَى أَمْرٍ عَظِيمِ ٱلشَّانِ
شَاهَدْتُ مِصْرَ عَلَى رَبَاطَةِ جَأْشِهَا ... وَحَمَاسَةِ ٱلْأَجْنَادِ وَٱلْقُطَّانِ
أَمْسَتْ ضَحِيَّةَ عُصْبَةٍ مَنْهُومَةٍ ... بِٱلشَّرِّ بَلْ هِيَ عُصْبَةُ ٱلشَّيْطَانِ
فَرَأَيْتُ خِدْعَتَهُمْ وَتِلْكَ وَسِيلَةٌ ... مَعْقُودَةٌ بِٱلنُّجْحِ وَٱلرُّجْحَانِ
قَدْ يَرْجُحُ ٱلرَّأْيُ ٱلشَّجَاعَةَ إِنْ هُمَا ... وُضِعَا غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ فِي مِيزَانِ
فَدَخَلْتُ فِي وَكْرِ ٱلرُّعَاةِ كَأَنَّنِي ... فِي ذِلَّةِ ٱلْمُضْطَرِّ لِلإِذْعَانِ
أَنِسُوا إِلَيَّ وَقَدْ تَدَاوَلَ سَمْعَهُمْ ... مَا بِتُّ أَلْقَى مِنْ أَسًى وَأُعَانِي
فَخَتَلْتُ قَائِدَهُمْ بِلَفْظٍ سَاحِرٍ ... وَٱتَّخَذْتُهُ مِنْ أَصْدَقِ ٱلْخُلْصَانِ
مَنَّيْتُهُ بِسَعَادَةٍ مَوْصُولَةٍ ... حَتَّى غَدَا كَٱلْقِدْرِ فِي ٱلْغَلَيَانِ
لَمْ يُخْفِ عَنِّي مِنْ دَخِيلَةِ قَوْمِهِ ... أَمْراً وَلَوْ شِئْتُ ٱلْفِدَى لَفَدَانِي
فَإِلَيْكَ «أَحْمِسُ» بَابَ «أَفْرِيسٍ» غَدَا ... طَوْعَ ٱلْبَنَانِ فَسِرْ بِغَيْرِ تَوَانِ
وَٱقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ فَدَتْكَ بِقَلْبِهَا ... وَبِرُوحِهَا فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْإِعْلَانِ

* * *

فَٱرْتَدَّ «أَحْمِسُ» صَائِحاً فِي قُوَّةٍ ... هَيْهَاتَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي
مَهْلاً «نَزِيتَا» لَسْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي ... قَنْصَ ٱلْغَنِيمَةِ مِنْ يَدَيْ خَوَّانِ

لاَ خَيْرَ فِي نَصْرٍ يَجِيءُ بِحِيلَةٍ ... اَلْفَخْرُ عِنْدَ تَصَادُمِ ٱلْأَقْرَانِ

سَأُرِي ٱلرُّعَاةَ غَداً وَمَا أَدْنَى غَداً ... فِي ٱلْحَرْبِ مَا لَمْ تَشْهَدِ ٱلْعَيْنَانِ

* * *

فَمَضَتْ «نَزِيتَا» بَعْدَ مَا قَدْ أَبْصَرَتْ ... مِنْ رَأْيِهِ مَا لَيْسَ فِي ٱلْحِسْبَانِ

تَنْوِي مَعُونَتَهُ بِرَغْمِ إِبَائِهِ ... أَكْرِمْ بِهَا فِي ٱلْخَطْبِ مِنْ مِعْوَانِ

حَتَّى إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ وَأَصْبَحَتْ ... مُهَجُ ٱلرُّعَاةِ فَرِيسَةَ ٱلْعِقْبَانِ

وَٱسْتَقْبَلَتْ «أَقْرِيسُ» «أَخْمِسَ» ظَافِراً ... وَتَطَهَّرَتْ مِنْ حَمْأَةِ ٱلْأَدْرَانِ

أَلْفَى «نَزِيتَا» قَدْ أَتَتْ فِي عَوْنِهِ ... مَا لاَ تَفِيهِ بَدَائِعُ ٱلشُّكْرَانِ

وَرَأَى مَحَاسِنَهَا تَفِيضُ وَقَدْ بَدَا ... نُورُ ٱلْوَفَاءِ بِوَجْهِهَا ٱلضَّحْيَانِ

نَادَى وَقَدْ هَاجَتْ لَوَاعِجُ شَوْقِهِ ... لَكِ يَا «نَزِيتَا» غَايَةُ ٱلْإِحْسَانِ

هَيَّا إِلَى مَجْدٍ وَحُبٍّ خَالِدٍ ... يُنْسِيكِ مَا قَاسَيْتِ مِنْ هِجْرَانِ

فَتَلَفَّتَتْ فِي حَيْرَةٍ وَتَلَهُّفٍ ... كَتَلَهُّفِ ٱلْمَقْصُوصِ لِلطَّيَرَانِ

قَالَتْ وَقَدْ حَبَسَ ٱلْهَوَى نَبَرَاتِهَا ... رِفْقاً فَقَدْ عَقَدَ ٱلصَّنِيعُ لِسَانِي

يَهْنِيكَ «أَخْمِسُ» مَا بَلَغْتَ مِنَ ٱلْمُنَى ... فَٱسْلَمْ وَعِشْ إِنَّا لَمُفْتَرِقَانِ

وَٱرْجِعْ لِزَوْجِكَ وَٱغْتَنِمْ فِي ظِلِّهَا ... صَفْوَ ٱلْحَيَاةِ وَرَاحَةَ ٱلسُّلْوَانِ

وَقَضَتْ بِطَعْنَةِ خِنجَرٍ فِي صَدْرِهَا   أَوْدَتْ بِهَا وَٱلْحُسْنُ فِي ٱلرَّيْعَانِ

* * *

هٰذِي رِوَايَةُ «أَخمسٍ» وَكَفَى بِهَا   فِي صَفْحَةِ ٱلْأَمْجَادِ مِنْ عُنْوَانِ
بَلْ هٰذِهِ ٱلذِّكْرَى ٱلْجَمِيلَةُ فَاشْكُرُوا   يَا قَوْمُ مَا أَوْلَتْ يَدُ «ٱلْغَضْبَانِ»

قصيدة الغضبان

نَاجِ ٱلْوَفَاءَ يُجِبْكَ مِنْ عَلْيَائِهِ   وَتَلَقَّ آيَ ٱلشِّعْرِ مِنْ إِيحَائِهِ
صُغْ مِنْهُ آيَاتِ ٱلثَّنَاءِ وَإِنْ تَكُنْ   دُرَرُ ٱلْبَلَاغَةِ لَا تَفِي بِثَنَائِهِ
حَسْبُ ٱلْأُلَى عَطَفُوا إِذَا عَزَّ ٱلثَّنَا   قَلْبٌ يَفِيضُ ٱلْوُدُّ مِنْ سَوْدَائِهِ
وَلَرُبَّ وُدٍّ فِي ٱلصُّدُورِ مُغَيَّبٍ   دَلَّ ٱلصِّحَابَ عَلَيْهِ فَيْضُ إِنَائِهِ

* * *

اِعْذِرْ أَخَاكَ إِذَا عَصَاهُ قَرِيضُهُ   وَأَبَى عَلَيْهِ ٱلْوَحْيَ جَمُّ حَيَائِهِ
نَفَرَتْ ظِبَاءُ ٱلشِّعْرِ مِنْهُ وَأَجْفَلَتْ   عَنْ مَجْلِسٍ يُزْهَى بِعِينِ ظِبَائِهِ
ٱلرَّانِيَاتِ إِلَى ٱلْبَيَانِ وَعَهْدُنَا   بِٱلظَّبْيِ يَسْرَحُ فِي رُبَى صَحْرَائِهِ

ٱلرَّامِيَاتِ بِكُلِّ أَكْحَلَ نَاعِسٍ ... قَلْبَ ٱلْخَلِيِّ دَوَاؤُهُ مِنْ دَائِهِ

أَقْبَلْنَ يَجْرُرْنَ ٱلْجَلَالَ بِمَحْفِلٍ ... يَسْمَعْنَ فِيهِ ٱلسِّحْرَ مِنْ خُطَبَائِهِ

ٱلْحَارِسِينَ ٱلنِّيلَ مِنْ غَدْرِ ٱلْعِدَى ... يَحْمُونَ بِٱلْأَقْلَامِ مَوْرِدَ مَائِهِ

ٱلسَّائِرِينَ بِمِصْرَ فِي سُبُلِ ٱلْعُلَى ... وَٱلْمُوقِظِينَ ٱلشَّرْقَ مِنْ إِغْفَائِهِ

ٱلرَّافِعِينَ عَلَى ٱلْجَدِيدِ بِنَاءَهُمْ ... وَٱلثَّائِرِينَ عَلَى قَدِيمِ بِنَائِهِ

مِنْ نَاثِرٍ عِقْدَ ٱلْجُمَانِ وَشَاعِرٍ ... مُتَبَوِّئٍ فِي ٱلشِّعْرِ أَوْجَ عَلَائِهِ

نَشِطُوا لِتَكْرِيمِ ٱلْبَيَانِ وَأَهْلِهِ ... فِي نَاشِئٍ عَدُّوهُ مِنْ أَبْنَائِهِ

مَا جَاءَ بِٱلْحَجَرِ ٱلْعَزِيزِ وَلَا أَتَى ... بِٱلْمُعْجِزَاتِ وَلَا سَمَا بِذَكَائِهِ

مَا فَازَ بِٱلنُّوقِ ٱلْعَصَافِيرِ ٱلَّتِي ... أَغْرَتْ فَتَى عَبْسٍ بِنَيْلِ رَجَائِهِ

مَا طَارَ فَوْقَ ٱلسُّحْبِ مُرْتَادًا وَلَا ... ذَرَعَ ٱلسَّدِيمَ مُحَلِّقًا بِفَضَائِهِ

مَا سَنَّ فِي ٱلْأَدَبِ ٱلْحَدِيثِ شَرِيعَةً ... أَعْلَتْ مَكَانَتَهُ لَدَى عُلَمَائِهِ

لَكِنَّهُ يَفَعٌ أَشَادَ بِذِكْرِهِ ... فِي ٱلنَّاسِ أَهْلُ ٱلْفَضْلِ مِنْ خُلَصَائِهِ

كَبُرَ ٱلْجَمِيلُ عَلَيْهِ حَتَّى ٱخْتَالَ فِي ... فَضْفَاضِ حُلَّتِهِ وَغَمْرِ رِدَائِهِ

مَهْمَا أَجَادَ فَنُجْحُهُ وَقْفٌ عَلَى ... نُجْحِ ٱلْمُمَثِّلِ فِي صَحِيحِ أَدَائِهِ

يُخْفِي قَرَارَةَ نَفْسِهِ مُتَقَمِّصًا ... رُوحًا سَرَى فِي لَحْمِهِ وَدِمَائِهِ

مُتَصَرِّفٌ بِالْقَلْبِ يُغْرِيهِ بِمَا ... يَهْوَى وَيَطْبَعُهُ عَلَى أَهْوَائِهِ

فَإِذَا بَكَى مَا خِلْتَ إِلَّا أَنَّهُ ... تَعِسٌ يُسَرِّي هَمَّهُ بِبُكَائِهِ

وَإِذَا تَبَسَّمَ لِلْحَيَاةِ رَأَيْتَهُ ... يُضْفِي عَلَى الْأَحْيَاءِ مِنْ سَرَّائِهِ

وَإِذَا أَحَبَّ فَوَالِهٌ مُتَدَلِّهٌ ... يَجِدُ السَّعَادَةَ فِي رِضَى حَسْنَائِهِ

وَإِذَا تَحَمَّسَ لِلْفَضِيلَةِ أَوْ دَعَا ... لِلْمَجْدِ شَاقَ النَّفْسَ رَجْعُ نِدَائِهِ

وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْبَ الْخِيَانَةِ مَرَّةً ... كَرِهَتْهُ نَفْسُ الْحُرِّ مِنْ جُلَسَائِهِ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَهْوَ مُحَشْرِجٌ ... أَبْصَرْتَ مَيْتاً جَائِدًا بِذَمَائِهِ

وَإِذَا أَطَلَّ عَلَى الْعُصُورِ بِفَنِّهِ ... أَحْيَا لَكَ التَّارِيخَ فِي عُظَمَائِهِ

صُوَرُ الْحَيَاةِ يُرِيكَهَا مَجْلُوَّةً ... فِي فَنِّهِ الْعَالِي وَفِي إِلْقَائِهِ

هٰذِي أَمِيرَتُهُمْ وَذٰلِكَ شَيْخُهُمْ ... وَالنُّخْبَةُ الْبَاقُونَ شُهْبُ سَمَائِهِ (1)

* * *

فَنٌّ تَوَارَثَهُ الْأَنَامُ وَجَاءَنَا ... نِضْواً يَهِيبُ بِنَا إِلَى إِحْيَائِهِ

حَتَّى تَعَهَّدَهُ بِوَارِفِ ظِلِّهِ ... بَلَدٌ يَعِيشُ الْفَنُّ فِي أَفْيَائِهِ

الْفَنُّ مَعْقُودٌ لِمِصْرَ لِوَاؤُهُ ... فَهُوَ الْمَلِيكُ وَنَحْنُ جُنْدُ لِوَائِهِ

---

(١) إلماع إلى الممثلة الكبيرة السيدة فاطمة رشدي وإلى الممثل القدير المغفور له عزيز عيد وقد نهضت جوقتهما بتمثيل رواية «أحمس الأول» .

المراجــع

1. Encyclopaedia Britannica 1929.

2. **Harmsworth's** Universal History of the World.

3. **Breasted James H.** A History of the Ancient Egypt.

4. **Budge E.A.W.** A History of Egypt - Egypt under the Amenemhats & Hyksos, Vol III.

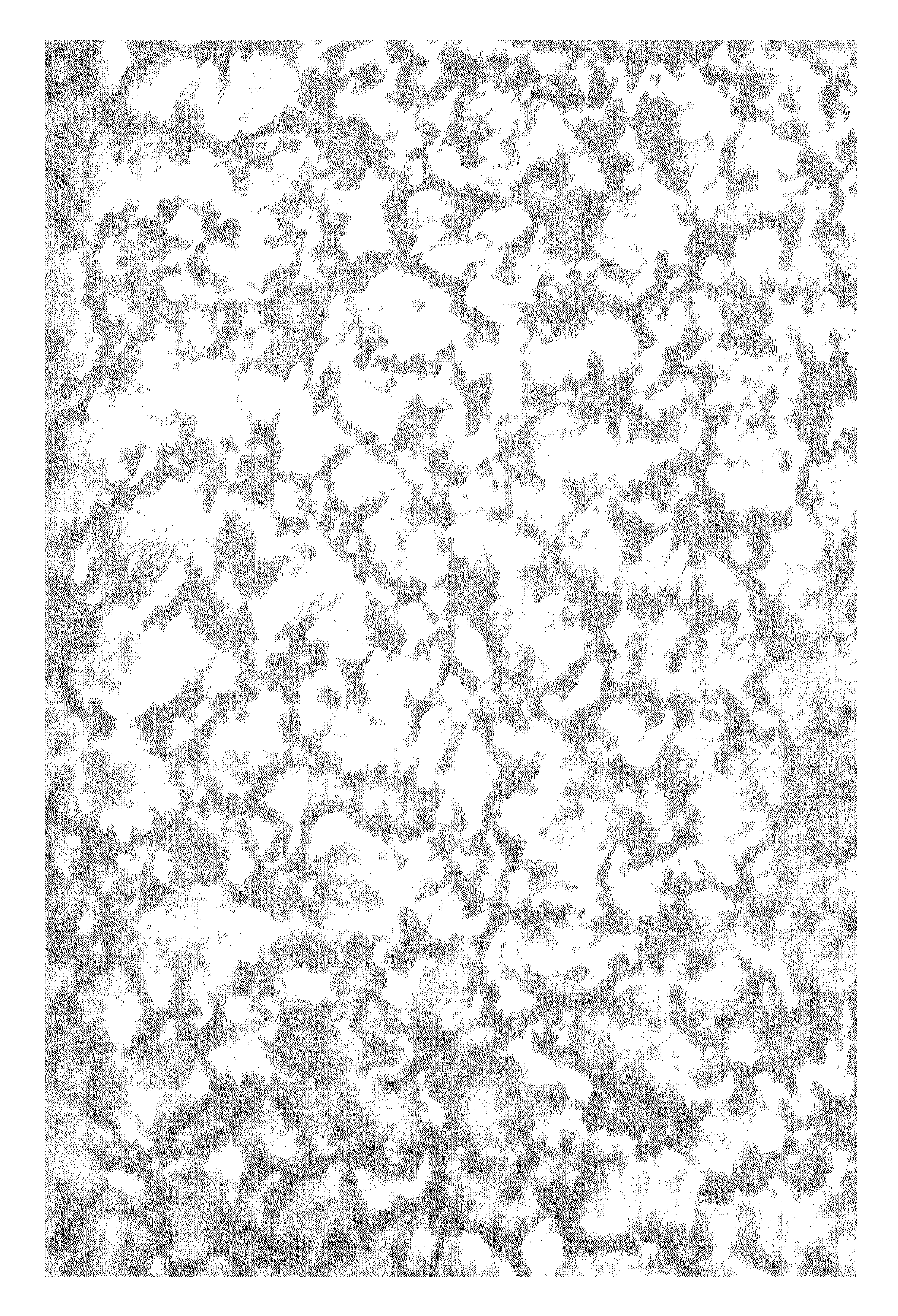
5. **Maspero G.** Histoire ancienne des peuples de l'Orient.

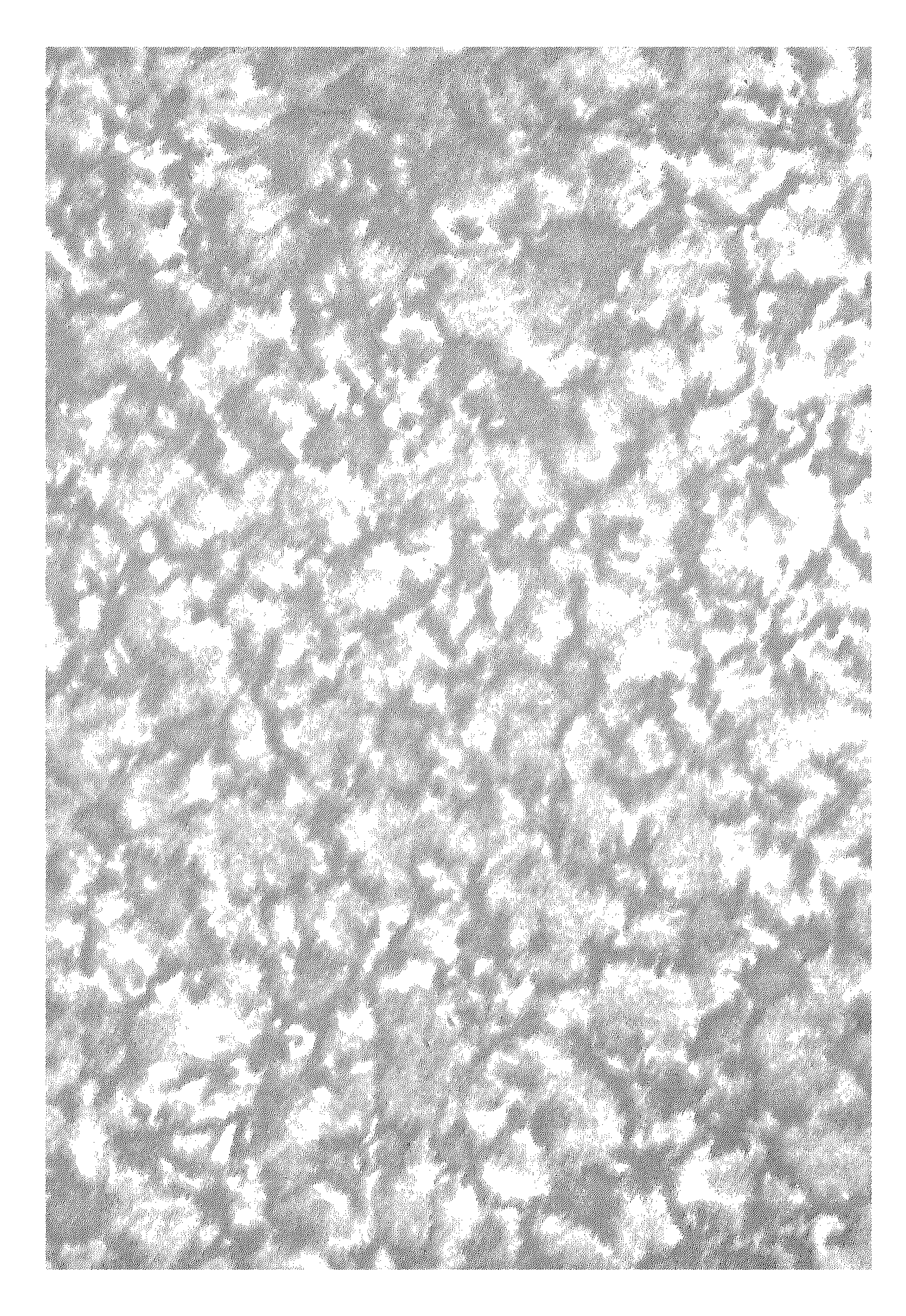
6. **P. de Hénaut.** Histoire de l'Egypte.

7. كتاب « الطب والتحنيط عند قدماء المصريين »

الفهرست

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعـــارف بمصر
فى مستهل شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥






Bibliotheca Alexandrina
0361390